المشرق

الاكتشافات البَرْدِيَّة

نظر للاب لويس جلابرت اليسوعي مدرّس العاديات في مكتبنا الشرقي

في مقالة سابقة (المشرق ٩: ٨٥١) اثبتنا تاريخ البردي واستعمالهُ في الكتابة وفوائدهُ الجمّة للمواصلات التجاريَّة والرسالات العلميَّة والادبيَّة وشيوعهُ بين القدماء قبل اكتشاف الورق القطني فكانت نبذتنا هذه كتوطئة قدّمناها على الكلام في الاكتشافات البردِيَّة واهمّ ما ظهر منها الى عالم الوجود في القسم الثاني من القرن المتصرم. ولسنا نبتغي في هذه اللمعة ان نستقصي البحث في كلّ الآثار التي خرجت من خباياها بعد الاجيال المتمدّدة لأنها على عدد دَرّ وفي موادّ تتناول كلّ المواضيع الكتابيَّة وهذه الاكتشافات تتكرَّر كلّ يوم فيظهر الوفٌ من البايير يضيق ذرع علماء العاديَّات المصريَّة عن استيفاء معانيها لكثرتها. ومنها ما يُصلح معلوماتنا التاريخيَّة السابقة بحيث تتجدّد معها كل يوم ورُبَّما تغيَّرت تماماً وذلك ما حمل العلّامة مُمسن المؤرخ الالماني البارع على قوله بانّ القرن العشرين سوف يُدعى جيل الآثار البردِيَّة كما دُعي القرن التاسع عشر جيل الكتابات الاثريَّة

والحقّ يقال انّ ظهور هذه الآثار بعد اجيال متمدّدة ضربٌ من العجائب او بالحري نعمةٌ من النعم يستحقّ عليها البارئ شكر العالمين. كيف لا وقد اخفى الدهر على ما هو اصلب واهمّ باقي من البرديّ فهذه الكتابات الحجريَّة كم الوفٍ منها وروات كُسرت وانشُخت بفعل الظواهر الجويَّة. وكذلك قد باد بجور الزمان معظم الكتابات التي رُقمت على صفائح الحديد والشبه. امّا الكتابات المدوَّنة على الاخشاب

فانها دخلت جميعها في خبر كان اللهمّ الّا ما وُجد منها في پمپاي وفي داقية. فما قولك بعد ذلك عمّا هو ادقّ وانعم واسخف أفكان يمكن ان يدور على خلد احد انّ البرديّ يقوى على ما لم تقوَ عليهِ الحجارة والحديد والخشب. فنحمد الله اذن الحمد التامّ اذ احرز لنا في بطن المطامير وتحت ركام الاطلال ما خرج في عصرنا من مخبّآته ليشهد لنا على احوال الامم الغابرة. وبعد ان كان العلماء يجهلون اصل البرديّ وكنههُ كما افاد منفركون الشهير سنة ١٧٠٨ صاروا اليوم يتقلّبون بين قماطرهِ ويجهدون النفس في استخراج معاني كتاباتهِ

واوّل ما ظهر من ذلك انّنا كان في هركولانوم. وهي مدينةٌ مدَّ عليها الفاسوف سنة ٧٩ للمسيح كفنًا من الرماد والحُمَم البركانيّة بلغ سمكهُ عشرين مترًا فصار فوق المدينة كالبناء المرصوص. فلمّا كانت سنة ١٧٥٢—١٧٥٣ فتحت معاول العمّال ذلك الحرز الحريز فبانت للعيان مدينة رومانيّة جامعة لكلّ اسباب المدنيّة والرفاهية. وكان من جملة ما وُجد في احد منازلها مكتبة واسعة لرجلٍ من فلاسفة الابيكوريين يُدعى أرسيد جمعها بحسن ذوق ومعرفة تامّة فضمّنها تآليف ائمّة اليونان ومشاهير الرومان وكان مجموع هذه الاعمال لا يقلّ عن ١٨٠٦ أدراج من ورق البرديّ الّا انّ هذه المدارج كانت في حالة يُرثى لها تتساقط وتتناثر لأدنى مماسّة وحروف خطوطها كادت تندثر وتتوارى. فجمعوها بحرص واعتناء. موّملين من قراءتها اكتشاف مصنّفات مفقودة للاقدمين من نثر وشعر في كلّ ابواب الكتابة. وهاءنذا قد مرّ على اكتشافها قرن ونصف دون ان ينجز الاثريون قراءتها لما يحول دون العمل من المشاكل العديدة. وقد بقي منها ٦٠٠ دَرْج لم تُفكّ بعد اسرارها. امّا ما قُرئ منها فجُعل على ٢٨٠٠ لوح يُصان منها تحت الزجاج ٨٠٠ والباقي ملصوق على مقوًى. امّا محتوياتها فانها تتضمّن اعمالا فلسفيّة وبعض المقاطيع الاديّة التي كان يُعرف قسمها الاكبر

ثمّ وليتها الاكتشافات المصريّة فكانت اعظم قدرًا واوسع مادّةً. امّا الفضل في حفظ هذه الكنوز في ارض الفراعنة فانّما كان لهواء البلاد اليابس ولرملها الساتر فلا يكاد يمرّ سنة بل شهر واسبوع دون ان تنقل الينا الانباء البرقيّة اخبار سارّة تهزّ لها طربًا افئدة العلماء لوجود آثار مفقودة. وها نحن نلخّص هنا تاريخ ومحتويات هذه

الاكتشافات ليقف القرّاء على ما زادت به ثروة العلوم وخلفة الآداب بتفضل هذه الآثار النفيسة

*

انَّ معظم ما وُجد في مصر من مخطوطات البرديّ انَّما كان خصوصاً في بلاد الفيُّوم. ولعلَّ سبب ذلك الحفريّات المتعدّدة التي جرت في تلك العاصمة. امَّا المراكز التي توفَّرت فيها هذه الاكتشافات فهي الآتية: البهنسا. وامّ براجات وهيبه وغوران ومدينة النحاس. هذا فضلاً عمَّا وجد في امكنة اخرى اقلّ شأنًا من الاولى كمنف وبربه واخميم والكرنك وكوم اشقاو وهذه الاخيرة قد وجد فيها المسيو لوفاڤر (Lefèbvre) آخرًا في دفعة واحدة خمسين مدرجاً من البابير باللغة القبطيَّة من القرن السابع ثمَّ وصيَّة رجل من اهل انتينوبوليس (شيخ عباده) عاش في عهد الملك يستينوس الثاني ثمَّ درجاً كبيرًا يحتوي ١٢٠٠ بيت من شعر مينندر الشاعر الشهير وكلّها مجهولة

امَّا قناطير البرديّ فكان وجودها على الطرائق الآتية:

١ كثيرًا ما كان الحفَّارون يبلغون في حفرهم الى ردوم بيوت قديمة منها سابقة لعهد المسيح ومنها رومانيَّة بعد المسيح ومنها قبطيَّة للنصارى. فكانوا اذا فتَّشوا في زوايا تلك المنازل او في حُجرها الداخليَّة وجدوا قطعاً من البرديّ او ادراجاً كاملة اودعها اصحاب المنزل اخبارَ نسبهم وتفاصيل احوالهم وكان بعض منها ملقًى منفيًّا لا يصلح الَّا لحاجات البيت شأن فعلنا بالورق الدون

٢ وقد وجدت مرَّات اخرى تلك المدارج في اصونة تحت طبقتين من ردوم وتراب كأن اهل البيت جمعوها هناك لحرصهم عليها. ومن تصفُّح تلك المجاميع وجدها غاية في الافادة لارتباط معانيها ولمدارها على امور متوافقة. وفي البهنسا قد توفَّق الحفَّارون الى اكتشاف اكداس من مخطوطات البرديّ فعرف العلماء انهُ كان ثمَّ صوانٌ للاوراق الرسميَّة او لما نُبذ منها وأهمل. وذلك انَّ العمَّال كانوا يحرصون الحرص التامّ على حفظ الاوراق الرسميَّة من حجج وسندات وقوائم وتذاكر. وكذلك كان الاهلون اذا ارادوا حفظ شيء من اوراق المبايعات والمعاهدات وغيرها خوفًا من ضياعها يسلّمونها الى الدوائر الرسميَّة لتصونها. وكلّ هذه الاوراق كانت تبقى زمناً في مكانها الى ان يعود النظّار الى مراجعتها فيميّزون منها ما يرونهُ مبطلًا مماتًا فيفرزونهُ في سلال

ثمَّ يُلقى على المزابل . فلحسن الحظ قد نجا كثير من هذه الاوراق ورُبَّما وُجدت مصمودةً في سلالها او مُلقاةً معها وبعد المطالعة تحقَّقوا انها تشمل اخبارًا متناسقة قريبة العهد لبعضها متجانسة المضامين

وهذه الآثار لو وُجدت على حالتها الاولى كما كُتبت لكانت تُعدُّ ككنوز ادبيَّة غاية في الفائدة والشأن لكنَّها في الغالب ليست كذلك لأنَّ الكتَّاب كانوا عادةً يمزّقون المدارج قبل ان يلقوها في السلال لاستغنائهم عنها فصارت في قفتها شذر مذر لا سيَّما اذا قلَّبتها ايدي الصنَّاع وملتقطي الخرق وتراكمت فوقها الردوم وافسدتها الرطوبة فتراها كذالة اوراقنا اذا دعكناها ورميناها على المزابل وعدنا الى قراءتها بعد أيام . فكذلك تكون تلك قطع البردي التي يحاول قراءتها العلماء فانَّها مدعوكة ممزَّقة مصفرَّة كادت كتابتها تبور لقدم عهدها . ولمَّا كانت هذه القطع متخرّقة احتاج مطالعوها الى مقابلات ومعارضات شتَّى ليوقف لها على معنًى . وهذا شغل لا يتمُّ الَّا بأيام طويلة بل باشهر وسنين . وكثيرًا ما تبقى القطع منفردةً لا يكمل معناها فيبقى طالب اسرارها في حيرةٍ يقدّر لها معاني بالحدس والتخمين

٣ واحسن من هذه المقاطيع المدارج التي تُستخرج من القبور والمدافن لكنَّها اعزّ واندر . وكان المصريون يحسبون مدافنهم كبيت ثانٍ تسكن فيه اموتاهم فتحيا حياةً جديدة بتقرُّب نفوس الموتى من اجسادها المحنَّطة . فكان الاهل لترتاح نفوس موتاهم بهذه السكنى وتُسرَّ بملازمة قبورها دون ان تقلق الاحياء يوفّرون في المدافن كلّ الآنية والآثار والادوات التي كان يألفها الميت قبل وفاته فيزوّدونهُ في قبرهِ باصناف المآكل والمشارب وبادوات صنعته . فكانوا يجعلون في قبر الصيَّاد ادوات صيدهِ ويطون للمخلَّع عكَّازهُ وللكاتب كتبهُ ومدارجهُ البرديَّة . ومن ذلك ما اكتشفهُ العلَّامة برخهردت (Borchhardt) في غرَّة شباط من السنة ١٩٠٢ فانهُ وقف على مدفن في ربض منف المسمَّى « ابو صير » فاذا هناك مدفن من عهد دولة الفرس وكان في المدفن تابوس قُبر فيهِ يوناني وكان بقرب التابوس اضابير من ادوات احد الكتَّاب ومن جملتها مدرج طولهُ متر و ١١ سنتمترًا محفوظ جيّدًا وهو يحتوي على نشيد شهير لم يكن يُعرَف منهُ غير اسمهِ وهو نشيد العجم (les Perses) من تاليف طيموثاوس المليطي ألَّفهُ بين السنة ٤٠٤ و٣٩٦ قبل المسيح . ثمَّ وُجد غير ذلك في مدافن اخرى

٤ ومن خزائن البردي التي لم تخطر على بال المكتشفين صناديق جثث المومياء . فانَّ الذين اصطنعوا تلك التوابيت كانوا يتخذون لها بدلًا من الخشب قطعاً من البرديّ المنفي الملقى فيلصقون اوراقها بعضها لصقاً محكماً الى ان تصير كشبه الصناديق الصلبة وكان علماء الماديّات يجهلون ذلك الى ان تبيَّنوهُ على طريقة التوفيق ومذ ذاك الحين اخذوا يفحصون كلّ تابوت ويقشطون كل ورقةٍ منهُ . وقد اكتشفوا على هذه الصفة مئات من الادراج التي كُتبت في عهد البطالسة

٥ واغرب من ذلك ما وجدهُ في الفيُّوم العلَّامتان غرنفل (Grenfell) وهُنت (Hunt) عند هيكل الهٍ يدعى سَكنَبْتونيس كان يصوَّر على شكل التمساح . فانهما وجدا مدفناً لعدد لا يحصى من مومياء التماسيح كان المصريون جمعوها هناك بعد تحنيطها . فترى جسم كلّ حيوان ملفوفاً بعصابات من البردي القديم اما جوفهُ فكان مفرغاً من الاعضاء ومحشواً بقطع من البردي المرزوم . وكلّ هذه المقاطيع كانت مزيَّنةً بنصوص كتابيَّة قديمة

فهذه هي الخبايا التي وُجدت فيها تلك الكنوز الادبيَّة التي برزت من مطاميرها فاحيت لنا كثيرًا من موات اعمال القدماء لا سيَّما اليونان . فانَّ الاكتشافات الجديدة اوقفتنا على تآليفهم المفقودة كما انَّها وسَّعت نطاق معارفنا المختلفة في عيشة المصريين الاهليَّة وفي رسومهم العموميَّة

*

هلمَّ بنا الآن نوجّه النظر الى مضامين تلك الكتابات البرديَّة ونخص منها بالذكر اليونانيَّة دون سواها فنقول : انَّ صحائف البردي اليونانيَّة المستخرجة من انحاء مصر تُقسم الى قسمين . قسمٌ منها يشمل تآليف ادبيَّة وقسمٌ مصنَّفات غيرها

فالقسم الاوَّل اي الادبيّ هو الذي لنتوقف ابصار العلماء واليهِ سكنت قلوب محبّي الآثار العتيقة فهو اخطر شأنًا واقضل بيانًا وان كان في عدد مكتشفاتهِ اقلّ كثيرًا من القسم الثاني

فممَّا يدخل في حيز الضرب الاوَّل تآليف اهتزَّت لاكتشافها الالباب منذ خمس عشرة سنة وفاقت بعددها ما استخرجهُ الاثريُّون من خزائن المكاتب منذ نهضة الآداب في القرن الخامس عشر . واخصُّ هذه التُحف الادبيَّة كتاب لارسطاطاليس

يُدعى « سياسة الاثينيين » Αθηναίων πολιτεία وهو اليوم في المتحف البريطاني وتيمة قلادته الثمينة. قد ضمّنهُ ذلك الفيلسوف قريع دهرهِ تاريخَ دستور اثينة وشرائعها واماط الستر عن احوال بلاد اليونان في الاجيال السالفة حتى استفاد منهُ العلماء برقت قليل ما لم ينالوهُ من دروسهم الطويلة

على ان هذا الكتاب اقرب للتاريخ منهُ للمصنّفات الادبيّة. فمتى هو ادبيٌّ محض ويرجع فضل اكتشافهِ الى اوراق البردي مقاطيع وشذرات متعدّدة من نظم مشاهير شعراء اليونان كألقاي (Alcée) المتوفى سنة ٦٠٤ قبل المسيح والشاعرة صافو ازهرت في القرن السادس قبل الميلاد والشاعرين المفلقين بنداروس (من ٥٢٠ الى ٤٤٠ ق م) ومينندرس (†٢٩٠ ق م) وهيبريدس الخطيب (†٣٢٢). واعزُّ من ذلك ما وُجد من هَزليات هيروندس (من شعراء القرن الثالث ق م) وقصائد باشيليدس († ٤٣٠) ومنظومات طيموثاوس الميلطيّ (†٣٥٧). وكلّ هذه الآثار من نُخب مؤلّفات الاقدمين تاطّف أسفنا على الكثير ممّا اضاع الدهر من نتائج فكرتهم الوقّادة. والبعض من هذه المصنّفات لشعراء ما كنّا نعرف غير اسمائهم. والامل معقود على اكتشاف غيرها

اما القسم الثاني فهو وان كان خارجاً عن دائرة المؤلفات الادبيّة كثير الجدوى عميم الفوائد فضلًا عن وفرة موادّهِ فترى بين هذه الصحائف المكتشفة ألوفاً من الكتابات الشرعيّة كالصكوك والسندات والوثائق والاوامر والتبليغات والمعاهدات والوصايا والمعاريض والقرارات واوراق الدعاوي والاستنطاقات والاحكام يُضاف اليها رسالات اهليّة شتّى وبطاقات للدعوات ولوائح للاعياد واوصاف للحفلات المدرسيّة ونصوص للتمائم والسحريات وغير ذلك ممّا يطول وصفهُ

وهذه الاوراق مكتوبة بيد قومٍ كانوا يعبرون عن احوالهم وافكارهم ومعاملاتهم اليوميّة يُجرون اقلامهم دون تصنُّع كما يلهمهم قلبهم او تقتضيهِ امورهم ليس كما يفعل الكتبة الذين لا يقدمون على الكتابة الّا بعد الرأي الفطير والفكرة الطويلة ويصلحون مرارًا ما كتبوا. فترى من آثار اولئك صورةً صادقة لكافّة امورهم الطارئة يصفون ماجريَاتهم يوماً بعد يوم لا يشغلهم البتّة في اصلاحها انتقاد المنتقدين ولا يفكّرون في القال والقيل وغاية ما يقصدون ان يترجموا عن احوالهم الحاضرة وحياتهم الجارية ومعاملاتهم المتداولة فتى لغتهم الدارجة وتعابيرهم الاصطلاحيّة ما هو افيد لتمثيل شؤونهم

فلولا هذه الصحائف الجديدة لما عرفنا مثلاً من امر الدوائر الحكميَّة في مصر على عهد البطالسة والرومان غير اسماء عمَّالها . اما الآثار المكتشفة حديثاً فانَّها تفيدنا التفاصيل الواسعة عن نظام تلك الدوائر وامتيازات ذويها وخواصّ كلٍّ من اصحابها مع بيان فرائضهِ وحقوقهِ وعلاقاتهِ وتصرُّفهِ في اعماله مع رؤسائهِ ومرؤوسيهِ وعمَّالهِ الخاضعين لامرهِ وربَّما تبعناهُ في حركاتهِ وسكناتهِ وبقيَّة احوالهِ من عدلهِ او جورهِ رقتهِ او خرقهِ نزاهتهِ او طمعهِ

وكذلك افادتنا الصحف البرديَّة احوال البلديَّات ومجالسها وطبقاتها وما يحقّ عليها لبيت المال من الضرائب وما يترتَّب عليها من تنظيم امور كل بلد وتوثير طرقهِ وترميم ابنيتهِ . وفي بعض هذه الاوراق وصف جلسة من جلسات اعضاء البلديَّة واختلاف آرائهم في ما يُعرَض عليهم من الامور وجلبة قومٍ منهم اذا ما خافوا ان تُبخس حقوقهم فتسمع واحدًا منهم يتبرَّأ من مسئوليَّة بعض الدعاوي وآخر ينسب الخلل الى غائب وثالثًا يستحلف المجلس ويطلب تخفيف المؤونات عن عاتقهِ

ويلحق بما سبق افادة اخرى اعمّ واشمل نزيد ماليَّة مصر وقد وصفنا في المشرق (٩ : ٢٨٣) كتاباً للسيو هنري مسپرو ابن الاثريّ الشهير في ماليَّة مصر ومواردها ومحصولاتها من مكوس ورسوم واحتكارات على عهد الفراعنة ثمّ في ايَّام البطالسة والرومان مع ما لحقها من التحسُّنات دولة بعد دولةً . وكانت الاحتكارات خصوصاً غاية في النظام لما كان يكسبهُ منها بيت المال . وكانت اصنافاً منها لتربية الواشي والحيوان كالخنازير والإوَزّ ومنها للصناعة ومنها للزراعة وكان بعضها مطلقاً وغيرها محصورًا . وكان الملك محتكرًا لزيت السمسم وزيت الخروع وكان يعيّن لكل قضاء ما يجب على اهلهِ ان يزرعوهُ من الحبوب . وكذلك كانت قوانين مقرَّرة لاستثمار المزروعات والغابات وانشاء المعامل . وكانوا يحتكرون للمنسوجات القطنيَّة والصوفيَّة والخمر والمشروبات وللصيد وللخشب وللنطرون وللملح وللمرّ . وكانت الاموال الاميريَّة والجبايات والخراج كلّها على نظام تامّ . وكان للدولة حقوق على الاملاك وعلى الابنية وايجارها وعلى مال الخاصَّة وعلى الشركات وعلى ارباب الدَّين وعلى ادولت الشغل وعلى الحيوانات الاهليَّة تقتضي على كلّ ذلك رسوماً معلومة . وزد عليها ما كانوا يجبونهُ من الدواوين والمبايعات وحقوق الوراثة مع ما كانوا يجمعونهُ من الجوائز النقديَّة

والاستصفاءات والتسخيرات. وكان لكل هذه الاعمال عدد لا يُحصى من العمّال يقومون بها قياماً مدقّقاً ليعمروا بيت المال

ومما اوقفتنا عليه تلك المطمورات احوال الدين في مصر. فانّ الصُّحف البرديّة تذكر اسماء الآلهة على اختلافها وتعدّدها مع ما يُقام لها من المواسم. وفيها ذكر الكهنة القائمون بسداتها مع اسماء الكواهن المختصّات بمذابحها. ثم يليها اسماء كلّ الرتب الدينيّة واصحابها الى آخر وافدٍ يخدم في هياكل اصغر المعبودات. وفي الصُّحف ذاتها فوائد متفرّقة تعلم بسلوك الكهنة واخبارهم وتصرُّفاتهم بعضهم مع بعض ومع الغرباء. فمن ذلك عدّة اوراق وُجدت في امر اختين شقيقتين ابنتي رجلٍ مصادقٍ لناسك تعبَّد للاله سيرابيس وانقطع لخدمته في هيكل منف. فلمّا مات الرجل سنة ١٦٥ قبل المسيح خلّف الابنتين واسمها طاويس وطاوس فطردتهما اخيهما نيغوريس وغصبت اموالهما. فما كان من امر الفتاتين الّا انهما التجأتا الى الناسك الذي اهتمّ بامرهما وخصّهما براتب من اوقاف الهيكل بدلاً من خدمٍ وكلّهما بها في هيكل سيرابيس وكان هذا الراتب ارغفةً من الخبز مع شيء من الزيت. الّا انّ بعضاً من عمّال الهيكل حسدوا الفتاتين على ذلك وقطعوا عنهما راتبهما. فقدّمتا المعاريض للرؤساء منها معروض للفرعون بطلميوس فيلوميتر يطلبان حقوقهما. فحكم لهما بطلميوس وامر بتعويض ما خسراه قبلاً. ثمّ عاد اعداء الفتاتين في السنة التالية وزاحموهما في مالهما فاضطرّتا الى العود الى معاريضهما لذوي الامر. وكلّ هذه الاوراق لا تزال محفوظةً وهي من انشاء الناسك

وفي صحيفة اخرى من البرديّ — ومثلها مئات — ذكر العبادة التي كانوا يقدّمونها لتمساح مقدّس اسمهُ پتيسوخوس. وذلك انهم كانوا اذا ارادوا التقرّب اليه يحشون فاهُ باللحم المشويّ وبأقراص الخبز السميذ والكنجبين. وكانوا اذا مات هذا الاله الغريب يدفنونهُ في قبرٍ خاصّ به وبنسلهِ ثمّ يجعلون راتباً معلوماً لمن يقدّم لهُ الضحايا بعد موتهِ ويوقد المشاعل امامهُ في ايّام معيّنة

ومن هذه الصحائف ما يدخلنا في حياة المصريين الاهليّة ويمثّل عاداتهم اليومية. مثال ذلك شكوى قدّمتها امرأة لحاكم تطلب منهُ ان يردّ لها مِلاءة اختلسها يهوديّ فاخفاها في كنيسهِ. ومثلها شكوى اخرى لامرأة تدعى سيرا تتظلّم من بعلها الذي اوسعها شتماً وضرباً ثم سلبها صداقها. وشكوى ثالثة لبائعة بقول اسمها طرموثس

تشكو الى قاضٍ زميلتها طاورسانوفيس التي مزّقت ثوبها وكساءها . او رقعة سيّدة تطلب من الوالي عقاب صاحب الحمّام الذي احمى الماء الى درجةٍ بالغة فاحترق بحرارته بدنها

وهناك مجموع آخر من الاوراق تحتوي مراسلات اهليّة غاية في الحسن والرقّة نختار منها بعض امثلة لفائدة القرّاء. فمن ذلك كتاب من جندي الى امّه ليستعطفها وينال منها شيئاً من الدراهم :

الى امّي العزيزة اهديها الف سلام . قبل كلّ اتمنّى لكِ الصحّة التامّة انت واهلكِ . ثمّ ارجوك عند وصول هذه الرسالة ان ترسلي اليّ ٢٠٠ درهم . لمّا قدم اليّ اخي جمالوس كان لديّ ٢٠ قطعة من الفضّة اما الآن فلم يبق عندي شيء لانني ابتعت عجلةً يسوقها البغل فصرفت فيها كلّ دراهمي . كتبت هذا لتكوني على بصيرة . ارسلي اليّ ايضاً كساء وطاقيّين وثيابًا من الجلد ومصدغتين ولا تنسي مصروفي الشهريّ . قلت لي عند الوداع : قبل وصولك الى فرقتك ارسل لك كلّ شيء مع اخيك وها انك لم ترسلي شيئاً فكيف طاوعك قلبك ان تتركيني دون مصروف كأني احد كلاب الازقّة . زارني ابي ولم يُعطني شيئاً لا كساء ولا غيره وها انّ الجميع يسخرون بي ويقولون انّ اباهُ في الجنديّة مثلهُ ولم يتكرّم عليهِ بشيء وانتِ كذلك قد نسيتني . فلماذا ؟ انّ امّ جارنا ڤالاريوس ارسلت اليهِ منطقتين وجرّة زيت وسلّة لحم ومئتي درهم . فالرجاء كلّ الرجاء ان لا ابرح من بالكِ فتساعديني بالمصروف لاني قد استدنتُ دراهم من احد رفقتي . . . .

ودونك بطاقة لسيّدة تدعو صديقتها الى عيد :

السلام يا سيّدة « سَرِينيا » من قبل صديقتك بتوزيريس . اسعي غاية ما امكن لكي تأتينا لعيد الإله السنويّ وأعلميني ايكون محيّاكِ بحرًا او برًّا على حمار لأرسل اليكِ من يلاقيكِ . لا تنسي . اتمنّى لكِ العافية الطويلة

واظرف من هذه رسالةٌ كتبها ولد صغير مدلّل يُدعى طاوُن الى والدهِ :

طاون الى والدهِ سلام . انظنّ انك عملت باللطف اذ ذهبت الى المدينة ولم تأخذني معك . اعلم انك ان سرت الى الاسكندريّة دوني لا اعود اكتب اليك ولا اكلّمك ولا اصبّحك . نعم ان رحلت الى الاسكندريّة لن اصافحك ولا اهديك السلام مطلقًا . هذا ما افعلهُ ان لم تأخذني معك . قالت امّي لارخلاوس : ان كان ابوهُ لا يصحبهُ معهُ سوف تقوم قيامتهُ . اشكر لطفك على الهديّة التي ارسلتها لي اليوم الثاني عشر من سفرك . ارجوك ان تهدي اليّ عودًا لأتسلّم الدقّ . ان لم تفعل لا اعود آكل ولا اشرب . خاطرك وعافية تامّة

كفى بهذه الامثلة دليلًا على ما تتضمّنهُ تلك الالوف من الاوراق فانّ فيها من

الفوائد الجمّة لتصوير احوال تلك الازمنة السالفة ما يستفزُّ همّة العلماء فلا يدّخرون وسعهم في ادراك مضامينها رغماً عمّا يتكلّفونهُ من الاتعاب في قراءتها (١

نوم القائلة

للدكتور فيليب افندي بركات

ربّما تسآل الناس عن القيلولة اي النوم بعد الظهر أتوافق الصحّة ام لا . فيجيب الاطباء عن هذا السؤال بعضهم بالانكار وبعضهم بالايجاب وللفريقين براهين سديدة يصحّ قبولها اذا نظرنا فيها الى الاحوال الشخصيّة

وانك سترى في بحثنا عن الحركة وفعل الهضم فوائد تجعلك حكماً عادلاً فانظر يا رعاك الله عادات الحيوانات بعد الاكل انها ترتاح لا بل تنام واذا اطعمتَ الكلب مثلاً تراهُ شتاء يقصد زاويةً دافئة وصيفاً مكاناً بارداً فيرتاح . وتشاهد الاطفال انهم ينامون بعد الرضاعة ولكن الحكم القاطع في هذا البحث هو للعالم الفرنساوي كارد برنارد انهُ اطعمَ كلبين من كلاب الصيد أكلتين بوزن واحد ثم حبس احدهما في بيتهِ واخذ الآخر للصيد وعند المساء ذبح الكلبين وفحص معدتيهما فكانت معدة الكلب المحبوس فارغة ومعدة الكلب الاخر ملآنة طعاماً غير مهضوم

فما قولك في هذا الامتحان البسيط ألم يتضح لك ان الراحة بعد الطعام مسهّلة لفعل الهضم ؟

وقد ترى بعض الاشخاص يسرّ هضمهم للطعام الّا اذا ارتاحوا بعدهُ فلا يشعرون بصداع ولا بقيء ولا بوجع . ورأى طبيب مريضاً لا يهضم طعامهُ الّا اذا اكل مستلقياً على ظهرهِ والّا شعر بأرق وتخمة وخفقان قلب وثقل وامتلاء في المعدة . واكثر

---

١) هذه بعض مقالات نشير بطالعتها على من يحبُّ الاطلاع على محتويات اوراق البردي :
Archiv für Papyrusforschung. = N. Hohlwein: *La Papyrologie grecque*, Louvain. 1905 = Bulletin papyrologique par S. de Ricci (Revue des Etudes Grecques) = Chronique des Papyrus par Jouguet (Revue des Etudes anciennes).

الناس يمشون بعد الاكل او يلعبون ليساعدوا فعل الهضم . وقد فتح احد الاطباء معدة مريض لعمل جراحي فلاحظ ان حرارة معدته ترتفع اذا مشى وتسهل هضمهُ . وفي فرنسة جمعيَّة صحيَّة يرأسها طبيب اسمهُ ماجندي غايتها ملاحظة الشروط الصحيَّة في الخيل فهي تقول ان الفرس الذي يركض أسرع هضماً من الفرس المربوط

وقد يحتمل بعضهم دون ضرر ظاهر حركاتٍ عنيفة يأتونها بعد الاكل . اما رأيتَ الاولاد يُجبرون في اكثر المدارس على اللعب بعد الظهر لكني اظن ان فيهم من يتزعج ويتأخر هضمهُ للطعام على مثال الكلب الذي أُخذ للصيد ومع هذا وذاك استسيح عفواً من سادتي رؤساء المدارس واسألهم ألَّا يظنوا ان مقالتي غايتها منع الاولاد عن اللعب بعد الاكل فالكسالى لا يُبنى عليهم حكم ولكل مزاج راي يراهُ الطبيب واذا شئتَ قل معي ان الناس في الهضم ثلاثة اقسام :

القسم الاول : هو الذي لا يتأثر من الحركات بعد الاكل ولو كانت عنيفة ويدخل في هذا القسم الاولاد والمراهقون وبعض الشبَّان الذين يشتغلون الاشغال اليدويَّة اقول بعضهم لا كلهم لان بعض الفعلة يتغدَّون ثم يرتاحون متشاغلين بالتدخين او بشرب القهوة ساعة من الزمن . وقد رأيت الفلاحين خصوصاً ابان الحصاد ينامون تحت كل شجرة كما ينام التاجر او الكاتب في بيتهِ او مخزنهِ

ويدخل في القسم الثاني الشبان الاصحَّاء الجسم ذوو المِعَد الجيدة فعلى هؤلاء ان يتنشَّقوا الهواء بعد الاكل ماشين او راكبين الموتوسيكلات

اما اصحاب المزاج الدموي السمان الاجسام ذوي الرقاب القصيرة الغليظة فعليهم بالحركة والتمرين المعتدل بعد الاكل فراراً من الموت الفجائي والامراض الناتجة عن قلة الحركة الدمويَّة لكني انصحهم ألَّا يتجاوزوا حدود الحركة بالتعب وان يرتاحوا ربع ساعة بعد الاكل قبل ان يُقدموا على حركة . اما الشغل العقلي بعد الاكل فغاية في الضرر يعسر الهضم كما تراهُ في كل من قرأ كتاباً او كتب على ورقة . ويقول المثل اللاتيني : المعدة الملأى لا تشتغل بجرأة . لكن ان شئتَ ايها الذكي الشغل بعد الاكل فاتخذهُ بعد راحة عشر دقائق مستلقياً على كرسي متمدِّد الرجلين رافع الرأس متحدثاً او قارئاً مثل هذه المجلة مستفيداً لمقالتي

اما القسم الثالث وهو الذي يكثر عددهُ كل يوم بفضل تقدم العصر (وكاتب

هذه السطور من عبيد هذا القسم) فاننا من جملة الذين اذا اكلنا شعرنا بارتخاء في العروق يرمينا غصباً عنّا على أسرّتنا فننام. وهذه الحالة اراها متعلقة بثلاثة اسباب:

اولها: كثرة الاكل: انهُ من المحقق كون هذا التأثير هو نتيجة غذاء كثير فاذا اعتدلنا قاومنا هذا الكسل الاغتصابي لكن هذه الغلبة غير مقررة ابدًا رغمًا عن قلّة الاكل

ثانيها وقت الاكل وحالة تعب الشخص خصوصاً التعب العقلي: غير خافٍ ان شغل النهار وبالأخص الشغل الدماغي يخزن في الجسم مواد منوّمة لا نعرف ماهيتها لكن فعلها الحقيقي يظهر جليًا في جسم اضناهُ الضعف العصبي بسبب تعب سابق او فعل مضني

ثالثها حالة الشخص العامة والهضميّة: ان اصحاب المزاج العصبي النحيفي البنية الفقراء الدم لا يمكنهم الّا الاستراحة بعد الاكل

الخلاصة: في كل الاحوال يجب الاعتدال في الاكل والنظام في توقيته ومعالجة الصحة العامة واستنهاض الصحة العصبية واني اشير بقيلولة قصيرة (نصف ساعة على الكثير) فانها لا شك مفيدة. والانسان في هذا الشأن حكيم لنفسهِ فاذا كان النوم خفيفًا هادئًا قصيرًا وشعر النائم بعد افاقتهِ انهُ استراح جسماً فالنوم أصاب المرمى في مساعدة فعل الهضم وهذه هي غالبًا حالة من لشتغل عقلًا من الصباح الى الظهر شغلًا هامًا. واما اذا كان النوم غير هادئ ثقيلًا تتلقهُ الاحلام وافاق النائم وهو تعبان وفمهُ ناشف ورأسهُ ثقيل فهذا ناتج عن غذاء ثقيل او كثير

واني لأقاومنّ النوم في اصحاب الامراض القلبيّة ذوي العروق المستصلبة المرّضين لداء النقطة السمان الاجسام لكني اشير عليهم بالراحة قبل الاكل فانها اليهم غاية في الافادة

اليك الآن تعليل اسباب النوم بعد الاكل. ان الدم وقت الهضم ينحدر غزيرًا الى المعدة او بالأحرى الى كل الجهاز الهضمي فيحصل بذلك فقر دموي وقتي ونسبيّ في سائر الاعضاء. فيتأثر من ذلك الجهازُ العصبي خصوصاً الدماغ ويحصل بعده ردود فعليّة في الاوعية الدموية مصدرها المعدة فيتعب الجسم وتذبل قواهُ وينام

وكل حركة من شأنها ان تجعل احتقانًا دمويًا في احد الاعضاء. وتقلل كميّة الدم في

المعدة تؤخر فعل الهضم وبالتالي تجعلهُ عسيرًا وان كان الجسم صحيحاً مثل جسم الولد او الشاب الدموي انحدر الدم غزيرًا الى المعدة والحركة عندئذٍ لا تضرّ لا بل هي نافعة واما اذا كان الجسم متعوباً منهوكاً فقير الدم فالانحدار الدموي المذكور لا يكون كافياً ليقوم بوظيفتين كبيرتين اعني بهما الراحة الجسميَّة العامة والفعل الهضمي فعلى الانسان ان يختار احداهما . والطبيعة وحدها تخولنا ان نطلب ما يوافقنا فنرتاح او نتحرّك

وانك ستعلم من بعض الحوادث الطبية ان هذا التوازن الدموي لا بدَّ منهُ واذا احببتَ نذكر لك بالختام قصَّة مريض كنَّا نعالجهُ لصرع هضمي مزمن واستفراغ دموي وهو عصبي المزاج فهذا كان كلما شرب لبناً (حليباً) شعر ببرودة شديدة في اطرافهِ فدُعينا اليهِ يوماً ما واذا هو يتاجلج بلسانهِ لا يمكنهُ التكلُّم ولا الكتابة وبقي في هذا العارض نحو خمس او ست ساعات الى ان تظاهرت فيهِ اواخر الافعال الهضميَّة فشفي تماماً

(المشرق) نقل البشير في عددهِ الاخير الصادر في ٤ شباط فصلاً لاحد العلماء قدَّمهُ الى جمعيَّة العلوم الافرنسيَّة وفيهِ تقرير ضافٍ في فوائد النوم الليلي والنوم النهاري بعد اختبارات متعددة اجراها على اناس مختلفين فأحببنا ان نلخص النتائج التي استخلصها من ملاحظاتهِ فنضيفها الى المقالة السابقة لتزيد فائدتها . قال :

١ً ان النوم في النهار اقل فائدة من النوم في الليل والراحة التي يولدها القيل في الجسم قليلة بالنسبة الى الراحة التي تنتج عن النوم في الليل

٢ً ان كل حركات الجسم الانساني التي تدخل في نوم الليل براحة تامة تكون في نوم النهار عرضة للاضطراب والقلق

٣ لا يستغرق الانسان في نوم النهار استغراقه في نوم الليل ما لم يكن فيهِ اختلال في نظام الجهاز العقلي او الجسدي

٤ً تتمكن العادة من زيادة وقت النوم في النهار دون ان يعادل مدة نوم الليل ومع ذلك فيقتضي اسابيع واشهر حتى تتملك هذه العادة في الانسان . وكأن بين شدة النوم وظلام الليل علاقة خفيَّة . حال كون النوم في النهار لا يكون غالباً الَّا نوماً مقصوداً

٥ً ان الاحلام في نوم النهار تكون اوضح واجلى منها في نوم الليل وتحفظها الذاكرة بسهولة وتكون اليقظة اسرع والهجوع اقل طولاً من رقاد الليل

ونتيجة كل ذلك انهُ ينبغي على الانسان ان يعتاد على قضاء لياليهِ في فراشهِ ويصرف نهاره في عملهِ وان الذين يسهرون الليالي الطوال ما هم الّا من اصحاب الغرور يعلمون بنفسهم على نقض دعائم صحتهم وملاشاة قواهم العقليَّة والجسديَّة . لم يختلف على حقيقة هذا المبدا الراهن اثنان وها ان العلم اتى مثبتاً هذه الحقيقة بنورهِ الساطع

آلهة بعلبك الثلاثة والادلّة عليها

بحث جديد في امر الثالوث البعلبكي

للاثري الاديب ميخائيل افندي موسى الوف

كتب منذ بضع سنين الاثري الشهير العلامة پردريزه في مجلّة الدروس القديمة بان البعل الايليوبولي (البعلبكي) لم يكن منفرداً بالوهيَّتهِ وواحداً في اقنومهِ بل كان ثالوثاً كغيرهِ من الآلهة الفينيقيَّة . ولكن لم يترك لنا التاريخ ذكراً لشريكي البعل في الالوهيَّة ولم يبقَ الّا البحث في ما تركهُ اليونان والرومان من الآثار عن الآلهة التي استبدلوا بها تلك الالهة الوطنيَّة كما جرت بذلك عادتهم . فاستدلَّ من كتابة وُجدت في اثينا ان هذا الثالوث كان مؤلفاً من جوبيتر (المشتري) وڤينوس (الزهرة) ومركور (عطارد) . وقد أيَّدت ظنونهُ الابحاث التي اجراها حضرة الاب سبستيان رونزفال في آثار مسجد بعل مرقد في دير القلعة فوق بيروت حيث وجد كتابة اخرى مقدَّمة للاله البعلبكي باسمائهِ الثلاثة « الى جوبيتر الكبير العظيم الايليوبولي وڤينوس ومركور . . . الخ (١) » . فتحقق المسيو پردريزه وجود الثالوث في معبود بعلبك وتأكدت لهُ معرفة اسماء اقانيمهِ بلا مراء . وزادهُ تأكيداً في ذلك كتابة اخرى وجدت في قرية تَرْهونن في امارة هسّ من بلاد المانيا مفتتحة بتقدمة الى الثالوث البعلبكي جوبيتر وڤينوس ومركور (٢) . وفضلاً عن ذلك وقف الاب لويس جلايوت مؤخراً على كتابة من قرية الشويفات مهداة الى الآلهة الثلاثة المنوَّه بها (٣

(١ Les dossiers de P. J. Mariette — Note sur la Triade adorée à Héliopolis, par P. Perdrizet, page 35.

(٢ M. F. Cumont, *Cf.* Musée Belge, 1001, p. 149.

(٣ *Cf.* Inscript. Grecques et Latines de Syrie. (Extrait des Mélanges de la Faculté Orientale de l'Univ. S^t-Joseph), p. 178.

غير انـهُ مما كان يدهشنا ان هذه الكتابات وُجدت كلها خارج بعلبك واما في المدينة التي كانت مركز عبادة هذا الثالوث والتي منها انتشرت في جميع الاصقاع فلم يوجد ولا كتابة واحدة تذكر الآلهة المذكورة معاً او تذكر واحداً منها — ما عدا كبيرها جوبيتر — على انفراد حتى ولا في ما ظهر بالحفريات الالمانية الحديثـة من الكتابات العديدة فليس بينها واحدة تنوّه باسم ڤينوس او مركور ، واكثرها تقتصر في التقدمة « الى جوبيتر الكبير العظيم الايليوبولي » . فكيف غفل بناة الهيكل ومزينوهُ بالتحف والتماثيل عن شريكي جوبيتر بالتكريم والعبادة وضريبتَيه في تمثيـل البعل الوطني ولم يذكروا لهما اسماً على نُصُبٍ او على قاعدة من قواعد العُمُد حتى خفي على العالَم أمرهما لو لم تكشفهُ كتابات اثينة وترلهوزن ودير القلعة واخيراً كتابة الشريفات ؟

ان هذا الغموض شغـل فكر حضرة الاثري الفاضل الاب لويس جلابرت فاخذ يدرس بتدقيق الكتابة الكبيرة المنقوشة مكررةً على ثلاث قواعد من اعمدة الرواق المقدم الذي هو المدخل الفخيم لهيكل بعلبك العظيم . وكان يرى في القراءة التي وضعها علماء الآثار لتلك الكتابة ريبةً وشكًّا . فانهم اتفقوا على ان جملة التقدمة الباقية اثارها على القواعد — وهي : الخ . . . M. DIIS HELIOPOL. PRO SAL — فُقد من اولها حرفان وهما I. O. مما يوجب قراءتها على هذا الوضع : « الى جوبيتر العظيم والى آلهة ايليوبوليس لسلامة . . الخ » . او انها كانت هكذا M (agnis) DIIS HELIOPOL. PRO SAL... « الى الهة ايليوبوليس العظيمة لسلامة . . . »

فبعد ان لمعن حضرتهُ جيداً في الكتابة وقاس ما تهشّم من اولها وحسب عـدد الحروف المفقودة تأكد لهُ بكل حقّ وصواب انّ المفقود من اول الكتابة خمسـة حروف وهي I. O. M. H. V. وأن الحرف M. الباقي الآن في اولها مُقتطَعٌ من كلمة مركور (عطارد) . عليه فانّ الجملة الافتتاحيّة في كتابات الرواق يجب ان تقرأ هكذا « الى جوبيتر الكبير العظيم الايليوبولي وڤينوس ومركور آلهة ايليوبوليس لسلامة . . . الخ » . وعلاوةً عليـه قد وجد حضرتهُ آثار حرف V. (وهو الحرف الاول من كلمة ڤينوس) ظاهرةً بوضوح على الحجر في احدى الكتابات وبعدهُ نقطةٌ تنفصلهُ عن الحرف الباقي M. (وهو المقتطع من كلمة مركور) . ومما زادهُ يقيناً في رأيه ان الكتابة المذكورة كانت في الزمن الذي زار فيه السائح دلاروك بعلبك (سنة ١٧٢٢) اكثر حفظاً

فنسخها السائح المذكور هكذا: الخ · M. V. M. DIIS HELIOPOL. PROSVL..
كما وان النسخة التي بعث بها قنصل طرابلس الشام الفرنسوي المسيو بولارد الى الكونت بونشارترن في ٢ تشرين اول سنة ١٧٠٥ وان تكن مغلوطة قد حفظت الاحرف التي تدلُّ على اسم ڤينوس ومركور (١ فكان ذلك مصداقاً على راي حضرته في اعادة الكتابة لاصلها ودليلاً قاطعاً على أن الرومان لم يهملوا تماماً نقش اسماء الالهة المرتقة للثالوث البعلبكي في الهيكل الذي تخصص لتكريمهم في بعلبك والذي انتشرت منهُ عبادتهم في سائر الانحاء الامبراطوريَّة الرومانيَّة · وقد ارتأى الاب الموما اليه ورأيهُ قريب الى الصواب ان الاله البعلبكي كان يمثَّل في اول الامر بجوبيتر وڤينوس الى اوائل القرن الثالث ثم أضيف اليهما مركور واصبح الاله المذكور مثلَّثاً · ولهذا السبب ندرت الكتابات التي تذكر اسم مركور مع جوبيتر وڤينوس لان عبادتهِ لم تأتِ الَّا في زمن متأخر · ولكننا نظن بانهُ عدا عن السبب المتقدم ذكرهُ كان اصحاب الكتابات يكتفون بنقش التقدمة لكبير الالهة جوبيتر فكأنَّ اهميَّتهُ وعظمتهُ في نفس هياكل بعلبك غلبت على ما سواه وكانت السبب الاعظم لاغفال اسم رفيقيهِ ڤينوس ومركور وهما دونهُ في المقام · وشاهدنا على ذلك ان اسم ڤينوس لم يأتِ ولا في كتابةٍ من الكتابات مع جوبيتر فقط · وشاهدنا ايضاً كتابة على قاعدة تمثال وجدت في الحفريات المتأخرة من زمن الامبراطور غورديانس وهو من امبراطرة اواسط القرن الثالث للمسيح · وكلمات الاهداء فيها مخصصةً «بجوبيتر الكبير العظيم الايليوبولي» فقط دون سواه بهذا النص I. O. M. HEL. PRO SALVTE D. N. IMP. CAESAR. M. ANT. GORDIANI الخ ·

*

ولما كان ما اوردناهُ من الكتابات الدليل الوحيد على عبادة الاله عطارد (مركور) في هيكل بعلبك (اذ لم يأتِ ذكرهُ قبلاً في نصٍّ قديم ولولا مباحث المسيو پودريزه والاب جلايرت لبقي امرهُ مجهولاً) فقد اسعدنا الحظ وعثرنا من زمن قريب على دليل آخر لعبادة مركور في هذه المدينة · اتفق لنا ان نلمح حجرًا كبيرًا مغروزًا في

(١ اطلب Inscript. Grecques et Latines de Syrie. (Extrait des Mélanges de la Faculté Orientale de l'Univ. St. - Joseph, Beyrouth من وجه ١٧٥ الى وجه ١٧٨

اسفل بناء موقعهُ وراء الكنيسة الكاتدرائيَّة حيث كان سور المدينة الجنوبي وعلى الحجر اثار كتابة فنظَّفناهُ واذا عليهِ كلمتان فقط محفورتان حفراً عميقًا وجليًّا باللغة اللاتينيَّة وتعريبهما « الاله مركور »

ΔEO
MERCYR.
✕

وتحت هذه الكتابة علامة كان يستعملها المسيحيون الاقدمون للدلالة على الصليب (١ ونظن انها حُفرت في زمان متأخر وقد استُعملت في هذه الكتابة اللاتينيَّة بعض الحروف اليونانيَّة كما يُرى ذلك في كثير من الكتابات التي حُفرت في اواخر القرن الثالث . فمن ذلك ومن هيئة حروفها نرجح انها نُقشت في ذلك القرن . اما نسبة هاته الآلهة الغريبة للآلهة الوطنيَّة فقد وضح باجلى بيان ان جوبيتر كان يمثل البعل . والزُهَرَة ڤينوس كانت تنوب عن عشتروت . اما الإله مركور فالى الآن لم يظهر وجه نسبته لمثله من آلهة السوريين . ولعل الايام تكشف لنا في المستقبل شيئاً عمَّا كان يمثلهُ مركور اليوناني من الآلهة الوطنيَّة . ولا شك بان الزمان حلَّال المستغلقات وكشَّاف الخبايا

المذاكرات الجغرافيَّة في الاقطار السوريَّة

للاب هنري لامنس مدرّس التاريخ والجغرافية في المكتب الشرقي

٣ موقع سورية (تابع)

فلمَّا رأى ملوك بابل واشور ما خصَّ الله بهِ بلاد سوريَّة من خصب التربة ومن حسن الموقع للمعاملات التجاريَّة احبُّوا ان يجعلوا البحر المتوسط تحت سيطرتهم لتسهيل المواصلات بين بلاد الشام ووادي دجلة والفرات وتلك لعمري كانت مسئلة

١) قلنا ان هذه العلامة (✕) قابلة لتفاسير شتَّى ولا نظنُّ انها الاختصار المتَّخذ للدلالة على قائد المائة (ἑκατοντάρχης) او قائد الالف (χιλίαρχος) وابعد من ذلك ان يقال انها علامة الصليب عند قدماء النصارى وذلك اذا افترضنا انَّ رسمها كان بعد عهد الكتابة والتقدمة للاله مركور (Des Mercur(io)) وان الذين رسموها هم من النصارى . وعندنا ان هذه العلامة تدل على صورة الصاعقة مختصرةً . واني سأعود ان شاء الله (Mélanges, II) الى فحص هذا الاثر الذي ترفَّق جناب ميخائيل افندي الوف الى اكتشافهِ فصانهُ من الخراب وسبق الى معرفة شأنهِ

الاب ل . جلابرت

حيويَّة اذ بها تنفتح الطرق التجاريَّة فتُنقل الى جهات الغرب مرافق الهند وثروتها (١ . فما كان من امرهم لتحقيق غايتهم الَّا ان يتعقَّبوا آثار القوافل الكنعانيَّة التي سبقتهم الى استيطان الشام وكان يحدوهم ايضاً الى سيرهم الى الامام رغبتهم في مبارزة فراعنة مصر وهم لم يعرفوا دولةً أخرى تقوى على ان تحولهم دون انجاز مقاصدهم فتنتزع من ايديهم السلطة على آسية (٢ . وكان لهم سبب آخر ينهض همهم ويدفعهم الى جهة البحر المتوسط اعني حاجتهم الماسَّة الى الخشب وكانوا في ذلك والمصريين سواء. فلم يرضوا ان ينتفع الفراعنة وحدهم من غابات سوريَّة الفاخرة لا سيَّما ارزها الذي كانوا يتَّخذونهُ لزخرفة مبانيهم وقصورهم حيث وُجدت آثارها في أيامنا (٣

وهنا لا يجوز لنا ان نضرب الصفح عن امرٍ لم يكن في الحسبان وهو تأثير غابات لبنان في احوال اهلها وتدبير شؤونهم . فانَّ هذه الاحراج هي التي اكسبت الفينيقيين نقابة البحر لأنَّ منها كانوا يستمدُّون الاخشاب اللازمة لتجهيز السفن فصاروا بذلك في مقدَّمة الملاَّحين يتولَّون التجارة البحريَّة مع البلاد البعيدة. لكنَّ هذه المنافع ايضاً قد حرَّكت مطامع الشعوب المحيطة بهم للاستيلاء على بلادهم . فترى كيف الاهواء البشريَّة تتعرَّض لأحكامهِ تعالى فتبليل النظام الذي سنَّهُ لكلّ بلاد . وقد سبق انَّ سوريَّة في رسم الخالق وُضعت لتكون بلداً وسطاً يجمع في التحابّ والالفة الشعوب المتنائية

واعلم انَّ بلاد الشام لم تشعر قطّ بمثل وطأة الامم الشرقيَّة لكنَّها نالت ايضاً من موقعها نعماً عزَّتها عن هذه المساوئ وخوَّلتها منافع مشكورة ومنناً سابغة فانَّ وقوعها بجوار بلاد اليونان كان سبباً لترقيها في الصنائع والفنون ولتقدُّمها في ضروب العلوم . وكذلك استفادت من الرومان حسن سياستهم وتدبيرهم وصيانتهم للسلام كما تعلَّمت من امم القرون الوسطى ان تدافع عن المبادئ الدينيَّة اذ رأت ما

---

١) اطلب كتاب شرادر ووِنكلر في الكتابات المسماريَّة والعهد القديم (Schrader-Winck-ler: *Die Keilinschriften und das alte Testament*, 37; 41; 46; 78)

٢) اطلب Comptes-rendus de l'Acad. de Berlin, 1906, p. 356 ثمَّ التاريخ القديم للسيو مسپرو (Maspéro: *Hist. ancienne*, I, 392-3)

٣) اطلب كتابنا تسريح الابصار (ج ١ ص ١٣٠)

للدين من القوّة في طلب آثاره القديمة وصيانة معابده التي لاجلها اهتزّت شواعر الوف من البشر فبرحوا المواطن حبًّا بها (١

ليس التاريخ الّا صدًى لاصطدام الاهواء البشريّة ولما ينجم عن التحامها من النكبات ومن الحروب ومن الخرائب. وعلى خلاف ذلك السلام والخير والفضيلة فانّها لا يُسمع لها جلبةٌ. وبناء على هذا قد قال القائل: طوبى للامم التي ليس لها تاريخ وهذا لا يصحّ في سوريّة كما رأينا. وكان الأولى بها وباهلها ان تبقى في عزلتها دون ان تستلفت اليها نظر العالم. لكن الشعوب كما الافراد لا يمكنها ان تؤثر لها خطّة تجري عليها باختيارها وتنسج على منوالها حياتها العموميّة لأنّ الشعوب في التفكير والله في التدبير

اعلم انّ الثروة والجمال موهبتان خطرتان واوّل غوائلهما انهما يثيران الحسد على اصحابها. قلنا انّ الله سبحانهُ وتعالى اذ منح لسوريّة موقعًا اثيرًا جعلها كطريق عامّ يجمع بين ثلاث قارات العالم القديم وذلك انّ سوريّة محصورة بين البحر والبادية ففيها وحدها طريق سهل يمكن سلوكهُ بين آسية وافريقية وقد ادرك الفينيقيّون ذلك فجعلوها سوقًا واسعةً لتجارة الخافقين وممرًّا متواصلًا لقوافل الامم. واضحى مع ذلك اهل السواحل السوريّة رؤساء البحر وفاقوا كلّ القدماء في خوض غمراته مدّة قرون متعدّدة فمخروا عبابهُ قبل اليونان بزمن طويل. ولمّا اراد البابليّون وبنو اسرائيل ان ينشئوا لهم ملاحة ويعمّروا السفن لم يستطيعوا اتمام مرغوبهم الّا بأن يلتجئوا الى الفينيقيين (٢ وسليمان الملك راسل في ذلك حيرام صاحب صور كما ذكر الكتاب الكريم. لانّ الفينيقيين كانوا اوقفوا نفوسهم ليكونوا سعاةً وعمّالًا بين الشعوب الساكنة على سواحل البحر المتوسّط ففتحوا في كل مرفأ مكتبًا تجاريًّا لمعاملاتهم. وسبقت صور وصيدا غيرهما من المدن في الاستعمار فانّ اوّل مستعمرة يذكر التاريخ انشاءها ينسبها لتينك المدينتين. واليهما يعود الفضل في توسيع المعاملات التجاريّة وتعميمها بين الدول. فان المتاجرات كانت قبل ذلك محصورة بين الشعوب المتجاورة فتتبدل الواحدة ما يزيد على احتياجها مما ينقصها من محصولات جارتها. والتجارة على هذه الصورة ترتقي الى اوّل العالم. امّا الفينيقيون فانّهم انشأوا

١) اطلب الجغرافية التاريخيّة Georges A. Smith: *Historical geogr.*, p. 13

٢) راجع كتاب دليتش في موقع الفردوس (Delitzsch: *Wo lag das Paradies*, p. 99)

التجارة الكبرى اعني التجارة البحريّة فنالوا من الفخر ما لم يحصل عليه شعب آخر الى القرن السادس عشر اذ دخل فنّ الملاحة في طور جديد باكتشاف قارة اميركة (١ . وما يزيد فضلهم انّهم اوّل من نهج تلك المسالك وكان المصريّون من قبلهم كما البابليّون والصينيّون منزوين في اصقاعهم يتنعّمون ببهات الطبيعة دون ان يفكّروا في نشرها بين غيرهم

وفي هذا لعمري عبرةٌ للمتبرين لا سيّما اذا قابلوا بين صغر بلاد فينيقية وسعة مستعمرات اهلها وبعدها السحيق . وليس في ذلك ما تُنكر صحّتهُ او يُردّ برهانهُ لأنّ التاريخ قد بيّن منذ ذلك العهد انّ الدول التي ضاقت مساحة املاكها اذا ما كانت مجاورة للبحر في احدى جهاتها كانت اسرع الى الاستعمار وأحكم فيه من الدول الكبيرة ذات التخوم البرّيّة لأنّ هذه الدول لا يمكنها ان تستعمر في الخارج قبل ان تقوم باستعمارها الداخليّ فتحسّن املاكها وتستثمر اراضيها وكلّ ذلك يقتضي زمناً مديداً بل اجيالاً طويلة ويستفرغ قوى الأمة . ولو سهت عن ذلك وقدّمت الاستعمارات الخارجيّة عرّضت نفسها الى التهلكة كما حدث آخراً لروسيّة التي تملك في اوربّة على انحاء مثّمة واقطار فسيحة بينها السهول القفرة التي لم تُحسن زراعتها فارادت ان تزيد في املاكها الاسيويّة الى حدود الشرق الاقصى فكان من امرها ما كان واصابها من الويلات ما هو فوق نكبات حربها مع اليابان . ولنا بيّنة على صدق هذا القول في تاريخ البرتغال والبندقيّة وجنوة وهولندة وفي أيّامنا هذه في تاريخ بلجكة فرأينا ما نالتهُ هذه الدول الصغيرة من الفوز والتقدّم في استعماراتها

ومثل البندقيّة حريٌّ بالاعتبار لأنّها جدّدت بعد الفي سنة اعمال الفينيقيين فنالت في طرف البحر المتوسّط الغربيّ ما نالهُ الفينيقيّون في الطرف الشرقيّ . وكلا البلدين في موقع متشابه واهلهما مولعون على سواء بالعيشة البحريّة . وانّما بينهما فرق واحد وهو انّ الحركة الاستعماريّة للبنادقة ابتدأت من الغرب فبانت الاقطار الواقعة في شرقيّ البحر المتوسّط (٢

(١ اطلب تاريخ التجارة في القدم, E. Speck: *Handelsgeschichte des Altertums*, I, 506–507)

(٢ اطلب Edmond Demolins : *Comment la route crée le type social*, p. 347,349

وقد سبق السوريون وادركوا ما لموقع بلادهم من المحاسن وعرفوا انهم يصيبون الهدف اذا ما عانوا الاسفار البحرية وتكلفوا اعمال التجارة فان توسطهم بين الدول القديمة اعني بابل ومصر كان كافياً لأن يكسبهم الثروة الواسعة فينقلون الى اهلهم السلع المتعددة ويبتاعون منهم محصولات بلادهم المتوفرة فيربحون على الوجهين الارباح الطائلة اذ يبيعون بالاسعار الغالية ويشترون بالاثمان المتهاودة. وفي ذلك سر غناهم العظيم وكما انهُ كان اقوى مهماز لتنشيط اعمالهم

واليوم ان تروّيت في احوال الامم التجارية وجدت انَّ اسباب ترقيها تنوط باحد هذه الامور الثلاثة اعني وضعها الجغرافي كاتساع سواحلها ثم تركيب طبقاتها بتوفر مناجم فحمها الحجري ثم احوالها الاقتصادية الدائرة على حرية التبادل والمعاهدات التجارية المبنية على اصول قريبة وقوانين سهلة (١ . فمن هذه الامور الثلاثة لا يسعنا الجواب على آخرها ونحن نجهل شروط التجارة بين الفينيقيين بين غيرهم من الامم . اما الامر الثاني اعني الفحم فانهم لم يكونوا اليهِ في حاجة لما اصابوا في جبالهم من ثروة الغابات التي تسدُّ حاجاتهم في تسيير السفن وهم لا يعرفون اذ ذاك تسيير السفن بقوة البخار . فيبقى علينا ان نبحث عن الامر الاوّل فنبيّن الاسباب الجغرافية التي اكسبتهم احتكار التجارة البحرية

ان نظرت الى لبنان رأيت سلسلتهُ تمتدُّ موازيةً للبحر لكنَّها من مسافة الى اخرى تلقي في البحر رؤوساً تنتصب فوقهُ وتشرف عليهِ اخصُّها الرأس الابيض بين عكَّا وصور ثمَّ راس نهر الكلب ولا سيَّما راس الشقعة الناطح بطرفهِ الهائل بين بترون وطرابلس وليس بين هذه الرؤوس الضخمة مكان الّا لأودية حرجة عميقة او لسهول متوسطة في سعتها او لشقق مستطيلة من الرمل والصلصال تحتفرها الصخور على صور شتَّى منها داخل في البحر ومنها راكب بعضها على بعض ومنها المسنَّن ومنها المروَّس والمدرَّج . فاقتضى على الاهلين الذين قطنوا في هذه الارض الحرجة بين البحر والجبل ان يوجّهوا بنظرهم الى مياه العرعرم لينالوا منها ما يسدُّ رمقهم اما بالصيد واما بالتاجرة بين مدينة واخرى . فهكذا كانت صيدا مقاماً للصيد كما يدلّ عليهِ اسمها قبل ان تضحي مركزاً بحرياً عظيماً

(١) اطلب مقالتنا عن التجارة في القرن التاسع عشر في مجلد سابق (المشرق ١٠ : ٣٠)

وهذه اللحوظات عن غرائب الساحل السوري كادت اليوم تبرح عن الخواطر بعد ان امتدّت على سيف البحر طرق العربات بل مُدّت الاسلاك الحديدية لقواطر البخار فيسير المسافر على الطريق السوية الممهّدة دائرًا حول رؤوس الساحل وقاطعًا لركام الصخور دون ان يحجزهُ حاجزٌ اللهمّ الّا رأس الشقمة الذي لم يتمكّن المهندسون من قطعهِ حتّى الآن. ولكن هيهات ان تجد مثل هذه الطريق السهلة في المسالك القديمة فانك لو نهجتها لعلمت ما يتكلّفهُ السائر في سيرهِ من المشقّة لينتقل من وادٍ الى آخر وما يحول دون مرامهِ من توريبات السكّة ومن المراقي الصعبة قبل ان يبلغ مكانًا قريبًا لو امكنهُ قطعهُ على طريق مستقيم. فلا بدع أن الاهلين منذ نشأت التجارة فكّروا في تقصير هذه الطرق بالسالك بحرًا وربّما كانت الطريق البحرية هي وحدها الممكنة

وان قيل انّ السواحل السورية مكشوفة ليس فيها ملاجئ للسُفن في وقت الانواء فضلًا عن انّ عدّة مرافئ كحيفا وطرابلس ولا سيّما يافا لا يمكن الرسوّ قربها أيامًا طويلة في فصل الشتاء فكيف كان الفينيقيون يبحرون؟ نجيب على ذلك انّ الملاحة القديمة كانت تخالف ملاحتنا اليوم فانّ البحريين ما كانوا يُقلعون مراكبهم الّا في فصل الهدوّ وصفاء الجوّ فكانوا اذ ذاك يفضّلون الوقوف عند الرؤوس او عند الجزر البحرية فلا يشعرون بهبوب النسيم حتّى يسرعوا الى السير على الساحل من مدينة الى مدينة ومن رأس الى رأس. وكانت السفن الفينيقيّة كبيرة مسطّحة لا تغوص كثيرًا في الماء حتّى انّها كانت تستطيع ان تصعد النيل الى الاقصر (١ فكان الملّاحون يراصلون سيرهم من ارواد الى طرابلس فبيروت فصيداء فصور راسين عند رؤوسها كما في طرابلس وبيروت او عند الجزُر المجاورة لها كما في ارواد وصيداء وصور ومستقين من العيون التي تُرى في كلّ هذه الامكنة جاريةً فيها ومخصبةً لها. اما في فصل الشتاء فترى مراكبنا اليوم اذا احسّت بقرب النوّ اقلعت الى الغمر لئلّا تغوص بالرمل او تُلقي بها العاصفة على الصخور. وكان الفينيقيون في فصل الشتاء في مأمن من ذلك يجرُّون الى البرّ سفنهم الى ان تهدأ الريح وتزول العاصفة

امّا اذا اعتبرت سواحل سوريّة من حيث وضعها الجغرافيّ فانك تجد فيها مُسهّلات متعدّدة للملاحة القديمة فانّ مراحل السفن من مكان الى آخر كانت قصيرةً واذا ارست

(١ راجع التاريخ القديم لسبيرو (Maspéro: *Hist. anc.*, II, 407)

في محلّ صادفت فيه عيونًا دائمة لا تنقطع وكذلك كان سيرها عاجلًا تجاري الساحل في خطّه المستقيم دون ان تتريث بالخلجان المتسعة والموانئ الباطنة وذلك فضلًا عمّا يهبّ في السواحل السوريّة من الرياح الثابتة الهبوب المعتدلة . فكل هذه الصفات لم تسمح للقدماء بان يتركوا شواطئهم سدًى كالدقعاء المقفرة تأوي اليها الضواري والكواسر وتسبح في مياهها التنانين دون ان يستخدموها لمنافعهم لمامًا للصيد واما للمتاجرة

هذا ولا ننكر ان الساحل السوريّ مع صلاحيته للملاحة لم يخلُ من بعض المخاطر كما رأينا وذلك لانكشافه وتعرّضه للرياح الشماليّة العاصفة ولكثرة ما يتخلّله من الرؤوس والصخور البارزة لا ماجأ فيه للملّاح مع ما يلقاهُ في سيره الى الجنوب من المقاومة من قبل المجاري المضادّة (١) . فان كلّ ذلك يستدعي نظرًا صائبًا وحذاقة بالغة في خوض البحر فكان ينال في هذا الجهاد اليوميّ خبرةً ليوسّع نطاق اسفاره البحريّة التي كانت تساعده عليها الغابات اللبنانيّة اذ يجد في اخشابها ولا سيما ارزها ما يقوى به على مثل هذه الرحل البعيدة

وممّا تجدي السواحل السوريّة من النفع لاصحابها فضلًا عن الملاحة التجاريّة مجاورتها للجبال القائمة في وجه سكّانها كأنّها تدعو اهلها الى قطع مشارفها ليلقوا ما وراءها ما يقوم بمعاشهم في السهول الواسعة الخصبة التي تسدّها تلك الجبال عنهم . ألا ترى انّ الساحل الفينيقي قليل الاتساع لا يستطيع اصحابه ان يستغلّوا ربع الارض ممّا لا غنًى عنهُ من القمح والزيت . وقد ذكر الكتاب المقدّس (سفر الملوك الثالث ف ٥) انّ غاية ما طلبه حيرام الصوري من سليمان الملك بدلًا من خدماته مقدار من الزيت والحنطة . فهذه الحاجة في ساكن الساحل يُضاف اليها عدم وجود الجزائر يتنفع من غلّاتها وبعده عن قبرس الحافلة بسكّانها . كلّ ذلك صرف بنظر السوريّ الى جبله ليفتح له معبرًا يجتاز به الى البقاع التي من ورائه فنقر في الصخور تلك المراقي الصعبة التي يقطعها المكاري مع بغاله بسرعة عجيبة وقدم ثابتة . وبسيره هذا لا

---

(١) وما قد تحقّق بالاختبار انّ للنيل فعلًا في استقامة السواحل السوريّة لأن مجرى مياهه مع الرياح التي تهبّ على امتداد الساحل من جهة الجنوب الغربيّ قد جرّ الرمال التي يجرفها في سيره الى شواطئ فلسطين وجبلها متساويةً خصوصًا جنوبيّ الكرمل . (راجع ما قلناهُ سابقًا في تسريح الابصار ج ٢)

يلبث ان يعتاد ما هو اوسع عملاً واجدى نفعاً فيتحوّل الى قائد قوافل ولا يزال يجدّ ويكدّ نافذاً في وسط اوديته متوجّاً بين سيولها الجارفة ثمّ راقياً الى اعالي جبله حتّى يبلغ عطفه الآخر فيدخل في تلك السهول الداخليّة الفسيحة التي تُعدّ كالصحراء حنطة لا تنفد مستغلّاتها وكان من هناك يضرب في الارض راحلاً الى انحاء العراق فيستجلب منها محصولاتها التي كان مواطنوه ينقلونها بحراً الى الجزائر المجهولة الواقعة في بحر الظلمات

انهُ لناموس من نواميس الهيئة الاجتماعيّة انّ الدول التي تنحصر املاكها في حدود ضيقة اذا كانت ثروتها واسعة ونقودها متوفّرة ان تطلب لضغطها منفذاً بتوسيع تجارتها والسعي وراء الاستعمارات. فقد ادرك اجدادنا السوريّون والفينيقيون هذه الحقيقة اذ ليس امرٌ جديد تحت الشمس فاستشفّوا ما وراء البلاد التي اعتبروها كحدودهم الشرقيّة بلاداً غيرها لاحت لهم في اعماق الأفق نريد شبه الجزيرتين الهنديّتين وما يُطيف بهما من الجزائر فاستوقفت تلك الاقطار انظارهم بما تتضمّنهُ من المرافق العديدة والثروة النباتيّة الواسعة واصناف الزهور الناصعة الالوان التي تفوق ما يُرى من ذلك في غيرها من الانحاء. فلم تثبط همّتهم المسافات الطويلة والعوائق المتعدّدة. فكانوا ينقلون من حدودها ما يستحبُّهُ تمدّن ذلك الزمان لحاجاتهِ او لذّاتهِ من افاويه وعطور وزيوت طيّارة واقمشة زاهية وضروب القطنيّات الهنديّة الرقيقة والانسجة المشرقة الالوان واصناف الحرائر البهيّة التي يبذل الباعة الدينار في حقّها بيدٍ سخيّة. وكذلك كانوا يستجلبون من الهند المعادن الثمينة كسبائك الذهب وصفائح الفضة واللؤلؤ والعقيق والياقوت وقطع الماس التي تزدان بها تيجان الملوك واكأة الاميرات. وكان الناس لاعتبارهم لتلك البلاد يروون عنها العجائب والغرائب فيعدّون ارضها تبراً وهواءها مسكاً وثمارها شفاء وقوّة وطيرها شبيهاً بالانسان في نباهتهِ وحسنهِ

فتجارة الهند في تلك القرون البعيدة كانت تُحسب كثروة البلاد وغنى الشعوب كما حسبها بعد ذلك اهل القرون الوسطى. وكانت تلك التجارة تروج او تكسد على مقتضى امور الزمان وصروف الحدثان ينقلها من مظانّها الكلدان والعرب تأتي بها قوافلهم على طريق آسية الوسطى الى اطراف بحر العجم او البحر الاحمر وكان الفينيقيون يرحلون الى جهات بابل والى انحاء اليمن فينقلون تلك المحصولات الى المرافئ السوريّة فيصرفونها الى الغرب

وكان من نواميس العالم القديم أنهم اذا ارادوا المتاجرة مع الاقطار النازحة يفضلون في ذلك الطرق البرّية رغماً عن طولها على خوض البحار وان كانت طريقها اقرب واقصر. وذلك على خلاف ما نرى في تجارتنا اليوم وهي توثر الطريق البحرية على سواها فتسير المراكب الى اقصى ما تستطيع لأنهم يجدون في تفضيل البحر سرعة فضلاً عن كونها اقل كلفاً. لكنّ هذا النظام حديث ابتدأ منذ انتشرت الملاحة الشراعية الكبرى ولا سيما منذ اكتشاف القوة البخارية. وكانوا قديماً لا يركبون البحر الا لمواصلة الطريق البرّية لأنّ الملاحين القدماء كانوا اذا اقلعوا قاصدين بلداً معلوماً لا يعرفون ما سيلاقيهم في طريقهم من العاقات وخصوصاً ما سيلاقون من الرياح الموافقة او المعاكسة فيعرفون ساعة خروجهم ولا يعلمون يوم وصولهم. ولذلك كان القدماء لا يتجشمون اهوال البحر الا عند الضرورة الماسة (١ وكان الفينيقيّون يرون في ذلك رأي غيرهم من الشعوب مع كونهم ادخلوا البحر في تاريخ العالم. وبينما نشاهد اليوم التجارة مترتبة على الملاحة منوطة بها في المعاملات كانت على عكس ذلك في الزمن القديم برّية محضاً. فلا نرى انهُ خطرَ على بال احدٍ ان يصرف القناطير المقنطرة لفتح قناة كقناة سويس او قناة پاناما. فان نظرت مثلاً الى الحيريين وكان لا يفصلهم عن مصر الا بحر صغير ترى انهم كانوا يفضلون على هذا السفر القصير في بحر القلزم طريقاً بعيدةً كانت القوافل تتبعها فتسير على سيف البحر الى وادي موسى ثمّ الى غزّة وهي الطريق التي كان يسلكها العرب الى زمن ابي سفيان والى اوائل تاريخ الهجرة. ولعلّهم لم يختاروا البحر للاخطار التي كانت تتهدّدهم في البحر الاحمر والسفر فيه صعب لكثرة صخوره وتعدّد مجاريه وشواطئه الرمليّة فضلاً عمّا كان في سواحله من القرصان او اللصوص الذين يهجمون على الفرق فينهبونهم او يستعبدونهم (٢ (له بقيّة)

---

١) اطلب مقالة بيرارد في المجلّة الاثرية (V. Bérard, *Revue arch.*, 1899, I, 80)

٢) اطلب تاريخ التجارة (Speck: *Handelsgeschichte*, I, 17-18)

الرهبانيَّة الباسيليَّة القانونيَّة الحلبيَّة

١٨٢٩ــ١٩٠٧

لحضرة الاب الفاضل تيموثاوس جق الباسيلي الحلبي

تتبَّعنا في مقالة اولى (المشرق ٩ : ٨٩١) تاريخ الآباء الاجلَّاء الذين اداروا شؤون الرهبانيَّة الحنَّاويَّة الشويريَّة من اوَّل انشائها سنة ١٦٩٦ الى وفاة رئيسها الرابع عشر الخوري اندراوس مقرّي الحلبي سنة ١٨٢٩ . وفي تلك السنة جرى انقسام الرهبانيَّة الى قسمين قسم حلبيّ مختصّ باهل حلب وقسم بلدي لبقيَّة الانحاء . وها نحن ننجز تاريخ القسم الحلبيّ الى عهدنا ونلحقهُ بجدول رؤساء مار يوحنا الصابغ في الشوير تتمَّة للفائدة اذ لم يمكنا الحصول على غير ذلك

١ (الخوري باسيليوس شاهيات) ولد في حلب سنة ١٧٩٥ وكان ابوهُ متري شاهيات احد وجهاء الطائفة الحلبيَّة . ودُعي الولد بولس . وكان دخولهُ في الرهبانيَّة الحنَّاويَّة سنة ١٨١٥ وبعد سنتين نذر النذور الرهبانيَّة في دير القديس يوحنَّا الصابغ عن يد الخوري انطون شابوري ودُعي يوستينوس ثمَّ سيم شمَّاساً وقسَّاً وتسمَّى باسم باسيليوس

ولمَّا حصلت انقسمة النهائيَّة بين الحلبيين والبلديين قلَّد الخوري باسيليوس رئاسة الغنة الحلبيَّة في دير الملاك ميخائيل في الزوق ٢٦ ت ١ سنة ١٨٢٩ فادار شؤونها الى ان وكل اليهِ الطيِّب الذكر السيِّد البطريرك مكسيموس مظلوم كرسيّ الفرزل فسقَّفهُ يوم خميس الصعود سنة ١٨٣٦ في الكنيسة المريميَّة بدمشق الشام ودبَّر ابرشيَّتهُ ٢٨ سنة بغيرة عظيمة مع ما قاساهُ من العناء والاتعاب وكان مواظباً على الوعظ يعلِّم بذاتهِ التعليم المسيحي للاحداث ويثابر على عمل الرياضات للكهنة والشعب ويعود المرضى ويعزّي الحزانى . واليهِ يحقّ الفضل في انشاء اكليروس عالميّ يساعدهُ في تدبير رعيَّتهِ الروحيّ كما كان جارياً في الشهباء منذ زمن مديد فتولَّى تهذيبهُ وتثقيفهُ والتزم بمعاشهِ على خلاف بقيَّة الابرشيَّات التي تستخدم لذلك الرهبان لقلَّة الكهنة العالمين او لعدم وجودهم . وفي سنة ١٨٥٨ عزم السيِّد باسيليوس على تشييد كنيسة كاتدرائيَّة ودار لسقفيَّة ومدارس في مدينة زحلة فارسل من قبلهِ كاهنين الى بلاد اوربَّة ليجمعا

الاحسانات لذلك وهما الخوريان موسى مقطط وفيلبُّس نمر وزوَّدهما بكتابات يوصي بهما ذوي الفضل والمحسنين . فتوفقا في عملهما وجمعا مالاً كافياً لبناء كنيسة سيّدة النجاة لا سيما من اهل النسا التابعين للطقس اليوناني فباشر السيّد الاسقف حالاً بتشييدها لكنَّها احترقت بالنار سنة ١٨٦٠ مع الدار الاسقفيَّة . فعاد الابوان وجمعا الصدقات ورجعا بعد قليل الى الشرق مصحوبَين باموال وتحف وتصاوير واواني قدسيَّة للكنيسة الرحلاويَّة . فشاد السيد باسيليوس الكنيسة الكاتدرائيَّة على اسم سيّدة البشارة واحاطها بمدارس وقلاليَّ لسكنى كهنته الافاضل ثمَّ بنى كنيسةً صغيرة وضع فيها صورة سيّدة النجاة المباركة كما انَّهُ كافأ الابوين موسى مقطط وفيلبُّس نمر على مساعيهما الطيّبة . فرقّي الاوَّل الى رتبة ايكونومس والثاني الى رتبة رأس كهنة (بروطوبرسفيتروس) وفوَّض اليهما ان يتصرَّفا بما احضراهُ من الدراهم لاعمال الخير والصلاح . وفي سنة ١٨٦٢ اصاب السيّد باسيليوس مرضٌ عضال اوصلهُ الى باب المنون وكان وقتئذٍ في بيروت فنذر لسيّدة البشارة انهُ يزور ابرشيَّتهُ ان نال العافية فسمع الرب طلبتهُ وقام معافىً بعد أيام قليلة وتفقَّد ابرشيَّتهُ كلها بهمَّة ونشاط مع انهُ كان لا يستطيع الركوب ولا يحسن المشي . وفي ٩ ك ٢ ١٨٦٤ شعر بنزل دمويّ فاعترف حالاً واستدعى وكيلهُ الخوري يوحنَّا ملوك فسلَّمهُ كيس دراهمهِ ليوزّعهُ على الفقراء وبعد ساعة اسلم روحهُ الطاهرة ودُفن في الكنيسة الكاتدرائيَّة بين ذرف الدموع وكان لهُ من العمر ٦٩ سنة

٢ (الخوري ميخائيل جربوع) ولد في مدينة حلب سنة ١٧٩٦ من ابيهِ روفائيل جربوع ودُعي بولس وجاء دير الصابغ في ٢٥ اذار ١٨١٥ ثم نذر النذور الرهبانية عن يد الاب العام الخوري انطون شابوري وسُمّي كرنيليوس وفي سيامتهِ شمَّاساً وقسَّاً عُرف باسم ميخائيل وانتُخب اباً عاماً في ١ ت ٢ ١٨٣٢ واقام في تلك الوظيفة الرفيعة الشأن ستة مجامع غير متواصلة وكان رحمهُ الله متواضعاً لا يرغب التقدم والارتفاع ففي المجمع الذي عقدتهُ الرهبانيَّة الحلبيَّة سنة ١٨٤٧ في دير القديس جاورجيوس الشير اوعزَّ الى الآباء اصحاب الاصوات انهُ يمتنع عن قبول الرئاسة وحرَّضهم على انتخاب شخص خيرهُ يكون كفوًا للقيام بتلك الوظيفة فلمَّا كان الانتخاب الثاني اصابت الاصواتُ صاحب الترجمة فصاح وخرج من المجمع واخذ يلحُّ

على الآباء ويرجوهم بان يقبلوا استعفاءه فرضوا حينئذٍ بكثرة لحاجته وعفوه الا انه في الجامع التالية اخذ على كاهله اثقال الرئاسة العامة واقام بحملها الى نهاية حياته فانه انتقل الى رحمة ربه سنة ١٨٧٢ ودفن في دير الملاك ميخائيل بالزوق

ومما يحق له الذكر في حياة هذا البار انه قام بوعده ابتنى سنة ١٨٥٦ دير زين الرعايا او زرعايا كما يدعونه باللغة الدارجة وذلك لسكنى الراهبات الحلبيات (١

٣ (الخوري برتلماوس بارائي) هو يوحنا بن يوسف بارائي وُلد في الشهباء سنة ١٧٨٠ وانتظم في سلك الرهبانية الحنانوية سنة ١٨٠٢ وبعد سبع سنوات من نذره الرهبانية سيم كاهنا وانتخب مدبرا ثانيا وسنة ١٨٣٨ أقيم رئيسا عاما ثم انتقل الى وظيفة المدبر الاول والثاني الى ان توفاه الله سنة ١٨٤٣ بدير القديس جاورجيوس الشير

٤ (الخوري توما قباش) وُلد في حلب في اوائل سنة ١٨٢٠ من ابويه سليمان قباش وتريزا مقري ودُعي فتح الله . وبعد الدروس الابتدائية في الرابعة عشرة من عمره ترهب في دير النبي اشعيا الذي بارض عرنتا بجوار قرية برمانا ولبس الثوب في ١٧ ت ٢ سنة ١٨٣٤ ودُعي توما . ثم ابرز النذور في الدير المذكور عن يد الاب العام ميخائيل جربوع في غرة ك ٢ سنة ١٨٣٦ وكان قدوة لجميع اخوانه . وفي ٨ آذار سنة ١٨٤١ صار شماسا انجيليا في دير القديس سمعان العامودي بوضع يد السيد اغابيوس الرياشي مطران بيروت وجبيل ثم رقاه السيد المذكور الى الدرجة الكهنوتية في ٣ شباط ١٨٤٤ . وعُرف في اثناء ذلك بتوقد ذهنه وعلو همته ومزيد غيرته وكان صائب الراي يستشيره الرئيس العام الخوري ميخائيل جربوع في الامور الصعبة فيذللها باصالة رأيه ونافذ بصيرته

وفي المجمع العام الذي عُقد في دير الشير سنة ١٨٤٤ ترأس على الدير المذكور لكنه بعد سنتين دعته الطاعة الى ان يذهب الى مصر ليخدم فيها النفوس بعد وفاة الخوري اندراوس قديد الحلبي فعمل . وفي سنة ١٨٤٧ استعفى الخوري ميخائيل جربوع من الرئاسة

---

١) وسوف نذكر ان شاء الله في مقالة خاصة ما يتعلق في هذا الدير الكبير ونقول ما نالته في خدمته من الايادي البيضاء الام انسانيا كأبة الرئيسة العاملة التي ورثت بناتها العذارى ذكرا مخلدا وزرعت في قلوب اللبنانيين المجاورين لهذا الدير احساناتها الغزيرة الى ان اصبحت اما ثانية لهم ولاولادهم ولسائر اهاليهم . زادنا المولى من امثالها وشجعنا باعمالها المبرورة الصالحة

العامة فانتُدب الخوري توما ليقوم مقامهُ . فلمَّا بلغهُ هذا الخبر توجَّد لهُ وكتب الى السيِّد البطريرك مكسيموس مظلوم والى السيد اغابيوس الرياشي والى الآباء المدبّرين كي يعفوهُ من الرئاسة فلم يُقبَل عذرهُ بل الزمهُ السيِّد البطريرك ان يباشر باعمال منصبهِ في اقرب وقت . فلم يبقَ لهُ الَّا الانقياد لحكم الله وعاد من مصر في ٣٠ ك ٢ سنة ١٨٤٨ فاستقبلهُ الرهبان بفرح عظيم والبسهُ السيد اغابيوس الحجر في ٢٥ نيسان من السنة وفوَّض اليهِ ملَّ الرئاسة على اخوتهِ في دير الشير وعمرهُ اذ ذاك لا يتجاوز ٢٨ سنة

ولهذا الاب الجليل مناقب عديدة نخصّ منها بالذكر توفيقهُ في تحسين ماديَّات رهبانيَّتهِ . فانهُ اقتنى لها ارزاقاً شتَّى في قرية القماطيَّة وفي زوق ميكائيل وفي سن الفيل ما خلا ما دفع للرئيس بعدهُ من المبالغ الوافرة . ولمَّا تجدَّدت لهُ الرئاسة في مجمع سنة ١٨٥٤ سامهُ السيِّد اغابيوس الرياشي ايكونوماً والبسهُ الخاتم والصليب ومن آثارهِ حينئذٍ الدير الذي ابتناهُ للراهبات في زرعايا بجوار قرية كفرتيه ودفع خلفهِ الخوري ميخائيل ٣٧٠٠٠ غرش لاتمامهِ

وفي اواخر السنة ١٨٥٦ طلب ان يستقيل من الرئاسة فلبَّوا دعوتهُ مدَّة ثمَّ اعادوه الى رتبتهِ في مجمع سنة ١٨٥٩ وجدَّدوا انتخابهُ اربعة مجامع متواصلة الى سنة ١٨٧١ فاهتمَّ بامور رهبانهِ اهتماماً عظيماً وحبَّب اليهم الكمال قولاً وفعلاً حتَّى انتشر في هذه الاقطار عَرف برّهم

وفي السنة ١٨٧١ تمكَّن الخوري توما من القاء حمل الرئاسة عن عاتقهِ فاختير الخوري سابا كوسا لهذا المنصب لكنَّهُ توفي سنة ١٨٧٥ فلم يرَ بدًّا من استلام زمام التدبير ثالثةً وبقي في مقامهِ هذا الى نهاية سنة ١٨٩٥ . ومن مساعيهِ المشكورة انهُ اشترى في قرية صربا الخربة قلعة كانت هناك من الخواجا عبد الاحد خضرا فبنى فيها ديرًا عظيماً على اسم الخلاص وجعلهُ مدرسةً لتعليم الرهبان وتثقيفهم ومقاماً لمشايخ الرهبانيَّة يقضون فيهِ أيامهم الاخيرة

وفي السنة ١٨٨٨ قدَّم بايعاز السيِّد البطريرك رئيسا الرهبانيَّتين البلديَّة والحلبيَّة مراسيم التهاني للحبر الاعظم لاون الثالث عشر بمناسبة يوبيلهِ الكهنوتيّ . وكان الخوري توما قدَّم لقداستهِ غطاء طاولة لطيف الصنعة في وسطهِ هذه الكتابة « الرهبانيَّة

الباسيليَّة الحلبيَّة لاون الثالث عشر ، فانعم قداستهُ على الرئيسين بوسام عالي الشأن ولمَّا رفعا الى حبر الاحبار تلغرافيًا واجبات شكرهما لعواطفهِ الابويَّة نحو الرهبانيَّات الشرقيَّة ورد لهما من نيافة الكردينال رمپولَّا الجواب الآتي :

حضرة الابوين المحوري توما قبَّاش والمحوري يوسف الكفوري الرئيسَيْن العامَّين الاكريين .
انَّ الاب الاقدس تقبَّل بعبارات الرضى الخاصّ فروض اخلاص ابوَّتكما وعهد اليَّ ان ابلّغكما البركة الرسوليَّة التي اهداها من صميم فؤاده لكما ولجميع ابناء رهبانيتكما

الكردينال رمپولَّا

وفي السنة ١٨٩٢ ارادت الرهبانية الحلبية ان تحتفل بيوبيل رئيسها وعرسهِ الذهبيّ فجرت اذ ذاك حفلات شائقة اعربت فيها الرهبانيَّة لرئيسها المفضال عن شكرها الحميم لما قام بهِ من الاعمال الجليلة وتكلُّفهُ من الاتعاب في سبيل ابنائهِ . وكانت ارسلت الى عظيم الاحبار رسالةً تبشّر قداستهُ ورئيس المجمع المقدَّس بهذا العيد الاغرّ ملتمسةً لصاحبهِ بركةً خصوصيَّة من الكرسيّ الرسوليّ لحسين سنةً قضاها في خدمة الكنيسة فاتاهُ الجواب بالايجاب مع الرسالة الآتية

عن رومة العظمى في ٣٠ ك ٢ ١٨٩٣

حضرة الاب الكلي الاحترام

بمزيد الفرح والسرور تقبَّلتُ بشائر عيدكم الذهبي لخمسين عامًا قضيتموها في الرئاسة العالة على الرهبانية الشوبرية الحلبية فان كتابكم المؤرخ في ٢٨ ت ٢ المنصرم سرَّني جدًّا ولذا فاني اهنئكم واثنّا بفطنتكم العالية وغيرتكم الشهيرة على نجاح الرهبانية وتقدمها في معراج الكمال والقداسة . فمربوناً لما ابديتموهُ من الاعمال والخدم يتحكم الاب الاقدس بركتهُ الرسوليَّة التي استمددتموها وانا اسأل الرب الاله ان يمدَّ في حياتكم هذه الغالية ويعطيكم آخرة صالحة تليقُ بما سبقَ لكم من الاعمال الرسولية

عبد ابوبتكم المخلص
الكردينال لدوكوسكي

ولمَّا احسَّ الاب توما بثقل السنين استمدَّ من آباء المجمع الملتئم في دير الخلّص سنة ١٨٩٥ ان يعفوهُ من جميع الوظائف فأقيم مدبّرًا اوَّل واخذ يصرف أيَّامهُ بالصلاة والعبادة مستعدًّا لملاقاة ربّهِ . وكان يظهر الصبر الجميل في ما ألمَّ بهِ من الامراض والاوجاع . ولمَّا شعر بدنو أجلهِ تسلَّح باسرار البيعة وسلم روحهُ الطاهرة بين يدي ربّهِ صباح الاثنين الواقع في ٢٦ آب سنة ١٨٩٩ . ودُفن مأسوفًا عليهِ في دير الخلّص وهو اوَّل من دُفن فيهِ

ومن صفاته انهُ كان يجري في اعمالهِ على القانون تهابهُ الكبار والصغار والمتقدمون في الوظائف الكنسية فكنتَ تراهُ منعكفًا على الاهتمامات والاشغال المختصة بوظيفتهِ العليا وكان جعل لأيامهِ واوقاتهِ كلها نظامًا مدقَّقًا فيقوم باكرًا كل صباح ويتلو كافة صلواتهِ الخصوصية مع لجيات المديح التي لوالدة الاله ثم يوقظ الاخ القندلفت فيقرعُ جرسَ الكنيسة وحالًا ينتصب في كرسيهِ بالخورس مرددًا صلواته الى ان تلتئم الاخوة في الكنيسة فيبتدئ الصلاة فالقداس ثم يرجع الى غرفتهِ فيتلو فصلًا من كتاب استعداد الموت ويهي لاشغالهُ الرئاسيَّة لحينما يقرعُ الاخ جرس الماندة فيُسرع وينتصبُ امام باب الكنيسة لاجل تلاوة الساعة الثالثة والسادسة جملةً مع لفيف الاخوة وبعد الغداء يزور القربان الاقدس فيرجع الى غرفتهِ ملازمًا امور وظيفتهِ الى ان يقرع الاخ جرس الغروب. فكنتَ تراهُ اول الكل في الخورس ملازمًا الصلاة والتضرع لله عزَّ وجلَّ وكان رحمهُ الله لا يتساهل مع اصحاب الوظائف الديرية ويلزمهم باتقان اشغالهم بكل اعتناء ورغبة. وقصارى الكلام كان لا يهاب احدًا في تتميم واجباتهِ الرئاسية وكان هو مثالًا وقدوة للجميع مع حسن تصرفه وسياستهِ وثباتهِ رحمهُ الله رحمةً واسعةً

٥ (الخوري سابا كوسا) ولد في حلب من ابيهِ فتح الله كوسا سنة ١٨٢٦ ودُعي رزق الله ولبس الاسكيم الرهباني في ١ ك ٢ ١٨٥٠ في دير القديس جاورجيوس الشير ودُعي سابا ثم انتدب رئيسًا عامًا سنة ١٨٧١ الى ان توفاهُ الله في ٢٧ ك ١ سنة ١٨٧٥ بدير الشير

٦ (الخوري ثاوفانوس البدوي) هو يوسف بن ميخائيل البدوي وُلد في دمشق الشام سنة ١٨٥٥ وجاء دير النبيّ لشعيا سنة ١٨٦٩ ونذر الرهبانية سنة ١٨٧١ وبعد سنتين ارسلهُ الرئيس العام الخوري سابا كوسا الى مدرسة عين تراز الاكليريكيَّة الى غاية ١٨٧٨ حيث رُقّي الى درجة الشمّاس الدياكونوس وسنة ١٨٨٠ سامهُ قسًّا السيد ملاتيوس فكانك فارسلتهُ الرهبانية لخدمة الانفس في منصورة مصر المحروسة وهناك أُرسل لهُ خبرُ انتخابهِ رئيسًا عامًا سنة ١٨٩٥ فعاد بين اخوتهِ ورغب كثيرًا في نجاحهم واستقام مجمعين ومنذ اربع سنوات استدعاهُ اليهِ السيد كيريوس فلابانوس كفوري

رئيس اساقفة بيروت واقامهُ نائبًا لهُ في سائر الابرشية وهو لا يزال في تلك الوظيفة الى الآن

٧ (الخوري جبرائيل باسيل) وُلد في مدينة حلب سنة ١٨٤٢ من والديه ميخائيل باسيل وكتر غلام فجاء دير النبي اشعيا سنة ١٨٦٦ وبعد سنتين نذرَ الرهبانية وارتسم شمامًا انجيليًا سنة ١٨٧٤ ثم عقيب سنة كاملة سامهُ قسًا السيد اغابيوس رياشي في دير القديس جاورجيوس الشير اخيرًا انتُدب رئيسًا عامًا في ٢ ت ٢ ١٩٠١ وهو لم يزل الى الآن ضابطًا زمام الرئاسة العامة وفضائهُ مشهور

هذا وكنّا نودّ ان نلحق بنبذتنا خلاصة اعمال رؤساء الشويريين البلديين او الحناويين. لكننّا لسوء الحظ لم نحصل على شيء من اخبارهم مع تحرّينا في السؤال عن ذلك وعسى احد ابناء الرهبانية يتولّى هذا الامر ويفرد لهُ مقالة خصوصية فيفيدنا عن اعمال الرؤساء العامّين منذ انقسام الرهبانيّتين الى يومنا

واننا لنكتفي بذكر اسماء هؤلاء الاجلّاء الافاضل مع ذكر السنين التي فيها ارتقوا السدّة الرئاسية العامّة وعدد المجامع التي فيها خدموا الرهبانية بغيرة ونشاط نقلًا عن «مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين»:

سنة ١٨٢٩	الخوري اغناطيوس البيطار الدمشقي	اقام مجمعين متواصلين
« ١٨٣٥	الخوري فلابيانوس الكفوري	اقام مجمعين متواصلين
« ١٨٤٠	الخوري نيقولاوس صوايا الشويري	اقام في الرئاسة العامة ٨ اشهر وتنازل
« ١٨٤١	الخوري مرتينوس المعلوف	
« ١٨٤٥	الخوري نيقولاوس صوايا المذكور آنفًا	اقام مجمعين متواصلين
« ١٨٥٠	الخوري اناطوليوس صباغ	اقام اربعة مجامع متواصلة
« ١٨٥٩	الخوري فلابيانوس الكفوري المذكور آنفًا	اقام ثلاثة مجامع متواصلة
« ١٨٦٨	الخوري دمتري جامد	
« ١٨٧١	الخوري فلابيانوس الكفوري المذكور	اقام ثلاثة مجامع متواصلة
« ١٨٨٣	الخوري سليمان الشامي	تنازل قبل نهاية المجمع لاسباب

وحينئذٍ اقامت اصحاب الاصوات رئيسًا عامًا بالصوت الحي

سنة ١٨٨٥ الخوري يوسف الكفوري الرجل العالم العامل الذي لا يزال يدير الرهبانيّة البلديّة بغيرة ونشاط ولهُ من الاعمال الطيّبة والاصلاحات ما اكسبهُ الشكر الخلّد من اولاد رهبانيّته وقد جُدّد انتخابهُ مرارًا متوالية الّا في مجمع سنة ١٩٠٤ فانتُخب الخوري باسيليوس صوايا الذي توفّيَ في غزّة سنة ١٩٠٥

شاهد عياني في الصعيد الرهبانيّ

انتقاد للاب لويس شيخو اليسوعيّ

كثيرًا ما نقرأ في الجرائد والمجلّات اطراء لعصر النور الذي نحن فيهِ فبفضلهِ كما يزعمون انقشعت سُحب الخرافات عن عقول البشر ولاحت اشعّة العلم الصحيح والحقّ اليقين. لسنا ممّن ينكر مواهب التمدُّن الحديث بل نقرّ انهُ ابرز الى النور كثيرًا من الحقائق التاريخيّة المجهولة ووسّع ثروة العلوم البشريّة كما انهُ ازال الشبهات عن امور ملتبسة طرأ عليها شيء من الغلوّ الدينيّ. لكنّنا ناخذ ايضًا على بعض ارباب العلم الحديث تسرُّعهم الى تزييف اعمال القدماء ونسبتهم الى الكذب كثيرًا مما رووهُ فتجري اقوالهم مجرى اليقين وبزلّتهم يزلُّ كثير من العالمين

في اوائل القرن السابع عشر نشر احد الآباء اليسوعيين اسمهُ روسفيد (H. Rosweyd) مجلّدًا ضخمًا طبعهُ في انتورس سنة ١٦١٥ وضمّنهُ عشرة تآليف من اخصّ ما كتبهُ القدماء عن تاريخ الرهبان في بلاد الصعيد. ثمّ وسّعهُ في طبعة ثانية سنة ١٦٢٨ وذيّلهُ بالحواشي المفيدة. فاقبل القرّاء على مطالعة هذا الكتاب إقبال الصادي الى ينابيع المياه وبهِ تلاشت او خفّت تلك الشكاوى التي وجّهها اعداء الدين الى الرهبانيّات اذ وجدوا في هذا المجموع ما أتى بهِ قدماء الرهبان من الاعمال الجليلة وفيها وصفٌ مدقّق ليس فقط لمناسكهم الدينيّة بل ايضًا لاشغالهم اليوميّة من صناعة وزراعة وانكباب على الدروس وامور غيرها عظّمت الحالة الرهبانيّة في اعين العموم

على انّ بعض المحدثين تصدّوا لهذه التآليف القديمة وادّعوا انّها مصنوعة لا سند لها وانّ اصحابها عاشوا بعد زمن النسّاك بعهد طويل ونسبوا اعمالهم زورًا لمؤرخين قدماء. وبلغ بهم انتقادهم الفاسد الى ان نكروا وجود رؤساء السيّاح كالقديس بولا والقديس انطونيوس الكبير وزعموا انّ تراجم آباء الصعيد خصوصًا ملفّقة خياليّة لا شيء فيها من الصحّة. وكان السابق الى هذه الاقوال الغريبة بعض الالمان والانكليز ولا سيّما ثينغرتن ولوقيوس وفرّار وغرانتكين. لكنّ بعضهم احجموا عن هذه المزاعم لمّا رأوا معرفة مؤلّفيها للامكنة وضبطهم لاوصافها التي لا يمكن تدوينها الّا لشهود عيان. ومع هذا

ارتأوا انَّ اصحابها بالغوا فيها كلَّ المبالغة واقحموا فيها الروايات الضعيفة التي لا يقبلها العقل

تلك كانت حالة الانتقاد الموهوم ريثما ظهر قومٌ من العلماء الاثبات بين الكاثوليك والبروتستان انفسهم فعادوا الى التنقيب والتنقير واخذوا كلَّ عملٍ من هذه الاعمال التاريخيَّة فقابلوا بين نسخها العديدة وتبيَّنوا غثَّها من سمينها ولم يزالوا يفرغون قصوى الجهد في سبيل الحقّ حتى ظهر تحت الرغوة اللبن الصريح . والفضل في ذلك لعلماء مختلفين دينًا وبلادًا منهم زوكلر (Zoeckler) وبروشن (E. Preuschen) والخوري لادوز (Ladeuze) وليبولد (Leipoldt) فانَّهم فنَّدوا اراء الناكرين واثبتوا صحَّة اقوال الرُّواة الاقدمين

ومتن اكتب آخرًا من هذا القبيل ثناء العلم والدين معًا الاب البندكتي الانكليزي دون كوثبرت بُتلر (Dom Cuthbert Butler) الذي خصَّ بدروسه تاريخًا مهمًّا لاحد كتبة اواخر القرن الرابع واوائل القرن الخامس يُعدّ تأليفهُ كالحكم الفاصل في هذه الدعوى . نريد احد شهود العين الذي عاش نحو عشرين سنةً بين اولئك النسَّاك وتتلمذ لهم واخذ عنهم وبحث بحثًا نعمًا عن كلّ احوالهم . والمذكور هو بلاديوس الذي وُلد في بلاد غلاطية من اعمال آسية الصغرى نحو سنة ٣٦٣ للمسيح وتفرَّغ للعيشة الرهبانيَّة زاهدًا في الدنيا سنة ٣٨٥ فقضى اعوامًا في النسك قريبًا من بيت المقدس على جبل الزيتون . وبعد ثلاث سنوات احبَّ ان يعاين العجائب المرويَّة عن سيَّاح مصر فرحل اليها وسكن اوَّلًا الرهبان المجاورين للاسكندريَّة ثمَّ توجَّه الى الجنوب متوغلًا في براري الصعيد في اقفار جبل النطرون والاسقيط

وبعد تسع سنين اضطرَّتهُ صحَّتهُ التعيسة ان يعود الى فلسطين سنة ٣٩٩ فاستوطن بيت لحم الى ان وقع عليهِ اختيار اهل بثينية لكرسيّ اسقفيَّة هيلانوبوليس فصار هناك احد أنصار القديس يوحنَّا فم الذهب في وجه مضطهديهِ ونالهُ بسببهِ محنٌ شتَّى ثمَّ أُلقي في الحبس فقاسى الشدائد احد عشر شهرًا ثمَّ نُفي فانتهز هذه الفرصة ليعود الى صعيد مصر فيذوق ثانيةً لذَّات الزهد ويتمتَّع بنعمة التعبُّد لخالقهِ بين اخيار البشر فواصل ذلك ستَّ سنوات . ثمَّ عاد الى بلادهِ سنة ٤١٢ ونُقل الى كرسيّ أسيوط الاسقفي في غلاطية وبقي فيهِ الى سنة وفاته نحو ٤٣٠

هذه خلاصة ترجمة پلاديوس . ولعلَّهُ كان مات وخمل ذكرهُ وتلاشت بهِ معلوماتهُ عن السيَّاح الذين عرفهم حقّ المعرفة وسكن بينهم طويلًا لولا كبير حجّاب الملك تاودوسيوس الثاني يُدعى لوزوس (Lauzus) الذي صادق پلاديوسَ الاسقف وسمع غير مرَّة من فيهِ العجائب التي عاينها بين فئات الرهبان في فلسطين وخصوصاً في الصعيد فألحَّ عليهِ الحاجب بان يسطِّر اخبار اولئك الزهَّاد فاجابهُ پلاديوس الى سؤلهِ وكتب باليونانيَّة التاريخ المطلوب قسَّمهُ على عدَّة فصول فكان تأليفهِ اصدق واثبت ما ورد عن اولئك العبَّاد

وقد نال هذا العمل من الشهرة ما أدَّى الى توفير نسخهِ ورُبَّما تداولتهُ ايدي النساخ فسختهُ . ومنهم من زاد عليهِ ما بلغهُ بالسماع او ادخل فيهِ ما قرأهُ في غيرهِ من الكتب المجانسة لهُ ولا سيما بعد ان نُقل الى لغات شتَّى كاللاتينيَّة والقبطيَّة والارمنيَّة والسريانيَّة والعربيَّة (راجع المشرق ٧ : ١٠٦٨ ع ٤٨) . حتى يصعب على المنتقدين ان يعرفوا ما صدر مكتوباً بقلم پلاديوس في الاصل وما أُضيف اليهِ من بعدهِ

وقد توفَّق الى بلوغ هذه الغاية الاب بُتلر في كتابين جعل الاوَّل كمقدِّمة على الثاني ففي الاوَّل بحث عن كلّ التآليف التي تصان في خزائن المخاطر الاوربيَّة ومدارها على عيشة قدماء رهبان الصعيد ثمَّ اوقف نظرهُ في تاريخ پلاديوس فتفحص تفحُّصاً وتعيَّن نسخة من نسخهِ التي وجدها في مكاتب الغرب وفي جبلَي أتوس وسينا وفي اورشليم واماكن غيرها . فبعد المقابلات الطويلة والنظر المدقَّق والاستعانة باقوال المؤرخين الذين عاشوا في زمن پلاديوس او بعده بقليل كسوزومين والقديس ابيفانيوس والقديس ايرونيموس تمكَّن من استخراج النصّ الاصليّ فنشرهُ في الكتاب الثاني الذي تمَّ بعد الاوَّل بستّ سنوات قضاها المؤلف اتابهُ الله في التفتيش والبحث . ومن راجع هذا المتن بعد تمحيصهِ وجدهُ كافياً لمجد اولياء الله الذين شرَّفوا بلاد الصعيد بمبرَّاتهم المتعدِّدة ومساعيهم المشكورة وخوارقهم العجيبة التي دوَّنها پلاديوس كما رآها بنفسهِ او سمعها ممَّن عاينوها وكلهم رجال ثقة لا يُشكّ في رواياتهم (١

(١) وهذا اسم الكتاب بالانكليزيَّة :

DOM CUTHBERT BUTLER : **The Lausiac History of Palladius.** ***Texts and Studies,*** **Contributions to biblical and patristic literature, edited by J. A. Robinson, D. D., *Cambridge, at the University Press.*vol. VI, n^os^ 1 et 2, 1898 et 1004. In-8, XIV-293 et CIV-278**

*

هلُمَّ بنا نذكر شيئاً مما افادنا اياهُ صاحب تاريخ رهبان الصعيد عن اولئك النساك الذي تألَّهوا بالعبادة والاعمال الصالحة لكنَّنا نضرب الصفح عن كثير مما سبق حضرة الاب ميشال جوليان فاختصرهُ في مقالتين نشرهما في المشرق (٤: ٥٧٧ و ٦٥٣ ثم ٦: ١١٥ الخ) وقد وصف فيهما اديار مصر القديمة ولا سيما اديار القديس باخوميوس في الصعيد التي زار آثارها وذكر اقوال الكتبة الأثبات في صددها

١ ﴿ عدد الرهبان ﴾ واوَّل ما يُستفاد من تاريخ پلاديوس عدد الرهبان المتنسكين في زمانهِ . فانَّ جهات مصر عموماً والصعيد خصوصاً كانت أضحت حافلةً بالمستعمرات الرهبانية حتى ان عدد الاديار المذكورة في هذا التاريخ وفي كتابات ذلك العصر يربي على الثلاثين . وكان بعض هذه الدِّيَرة يحتوي الفاً من الرهبان بنيَّف فان دير التبني مثلاً كان يسكنهُ ١٣٠٠ راهب . وكان عدد الرهبان الذين يتبعون قانون القديس باخوميوس وحدهُ ٧٠٠٠ عابد وكان يسكن جبل النطرون ٥٠٠٠ غيرهم . وزد على ذلك اديرةً كانت مختصةً بالرواهب وحدهنَّ يبلغ عددهنَّ الألوف وكان في انطينوبوليس وارباضها ١٢ ديراً للمتبتلات . ويشير پلاديوس الى اديرة فلسطين والعراق وما بين النهرين وكان عدد نسَّاكها كما في مصر . فكأنَّ نصارى ذلك العهد كانوا يشعرون بدافع عظيم يسوقهم الى سكنى البراري والقفار فقطنوها وقدَّسوها بحياتهم الالهية . وربَّما كان وجودهم سبباً لانشاء مُدنٍ كبيرة عمروها أوَّلاً كمناسك لهم ثمَّ تحوَّلت بعدئذٍ الى بلاد عامرة تدلُّ اسماؤها الى اليوم على أصلها . وعلى هذا المثال في بلاد الشام دير الزور ودير عطيَّة

٢ ﴿ مناسكهم ﴾ لم يعش هؤلاء الرهبان عُمَّالاً بل كانت سيرتهم منظَّمة يقضون حياتهم بالشغل والاعمال الصالحة تحت نظر احد الآباء العريقين بالعيشة النسكية المتأسين على آدابها منذ الزمن القديم . وكان الذين سبقوا الى الترهب كبولا وانطونيوس ومكاريوس وهيلاريون متوحدين عائشين في الزهد منقطعين عن العالم لا يشاؤون البتَّة الاختلاط باهله يقسمون وقتهم بين الصلاة وشغل اليدين . لكنَّ عرف فضائلهم ما لبث ان انتشر في النواحي المجاورة فجعل الناس يتوارِدون اليهم ثم تتلمذوا لهم وانتسوا

باشالهم . وكان اذا زاد عددهم انقسموا كشَوْل النحل فعمروا منسكاً جديداً تحت قيادة احد شيوخ الرهبان

على انَّ هذه العيشة وان كانت بنظام وترتيب لم يكن لاصحابها قانون يجرون عليهِ في كلّ اوقاتهم حتى شعر الشيوخ بالحاجة الى وضع قانون معلوم يسير بموجبهِ الذين يطلبون الترهب . فمن ذلك قانون القديس انطونيوس وقانون القديس باخوميوس وقوانين أُخرى منها عموميَّة ومنها خاصَّة ببعض الامكنة . وعلى مثال هذه القوانين كتب القديس باسيليوس قانونهُ الشهير في بلاد بنطوس والقديس مبارك في ايطالية

وكان القادمون الى هذه الاديرة اذا اتوها كضيوف يسكنون في منازل خاصَّة خارجاً عن سور الدير فاذا لم يرحلوا بعد ثمانية أيام دعوهم الى شغل اما عقليّ امَّا يدوي فراراً من البطالة . امَّا اذا اتوا طالبين الترهب فكانوا يكلمون بامرهم الى احد النظَّار قبل ان يضمُّوهم الى جماعة الرهبان فيروِّضهم الناظر في كافَّة اعمال النسك ويختبرهم بضروب الاختبارات ليستحن دعوتهم ويدرّبهم على الفضائل الرهبانيَّة فيدوم ذلك ثلاث سنوات يُمتَحَنون من بعدها في عداد الاخوة ان وجدوهم اهلاً بذلك

وكان للاخوة في الأديرة القانونيَّة لبس واحد وطعام واحد . فكان لبسهم من جلود الماعز او الوبر في نهارهم وفي ليلهم درعاً من الكتَّان ويجعلون على رؤوسهم في الرتب الدينيَّة قبعة تُعرف بالاسكيم يجعلون على مقدَّمها صليباً احمر . اما مساكنهم فكانت القلالي يبيتون فيها ثلاثة ثلاثة وفي القلاية ثلاث دكك لطيفة من الحجر بالحناء خفيف كانوا يضطجعون عليها بلا فراش . وكان مأكلهم في مطاعم عموميَّة يجتمع فيها الاخوة كلُّهم وكانوا لا يأكلون سوى الخبز والبقول والالبان اللهمَّ الَّا العَجَزَة بينهم او المرضى فيطعمون لحماً . وكان كثير منهم لا يأكلون الَّا مرَّة واحدة في اليوم عند غروب الشمس وكان منهم من يطوي صائماً اليومين واكثر . وكانوا يدفنون موتاهم في قبور منقورة في الصخور تُرى الى عهدنا . وربَّما اتخذوا لذلك مدافن قدماء المصريين في اطواف الجبال . وامَّا النساء فكانت اخواتهنَّ يسجينَّ في الاكفان ويجعلنهنَّ على ضفَّة النيل فيأتي الاخوة وينقلون الجثَّة الى المدافن العموميَّة

٣ ﴿ اشغالهم ﴾ كثيراً ما يتخيَّل الناس ان العيشة الرهبانيَّة عيشة راحة لا يتكلَّف اصحابها عناء . وكفى بالردّ على هذا القول ما اخبر بهِ پلاديوس عن رهبان

الصعيد الذين عاش بينهم ورأى اعمالهم . وكان اوّل لشغالهم اقامة فرائضهم الدينيّة في ساعات معلومة من النهار والليل يجتمعون فيها لتلاوة المزامير وصلوات اخرى طويلة ويترنّمون بالتسابيح . وكان مجمل هذه الصلوات في ايّام الاعياد ٣٩ صلاةً يقتسمونها اربعة اقسام

وكانوا اذا فرغوا من الصلاة يسرعون الى الشغل والشغل هذا فرض لازب على قدر قوى كلّ راهب وعلى حسب استعداده . فكان بينهم قومٌ للتعليم والارشادات التقويّة وملازمة الدروس الدينيّة كالعلّامة ايثريوس والشيخ امونيوس وديديموس المكفوف احد علماء الاسكندريّة . وكان غيرهم يصرفون وقتهم في نسخ المخطوطات فاكتسبوا بذلك شكر العلماء اذ حفظوا لنا من الضياع عددًا لا يُحصى من المخطوطات التي وفّروا نسخها . وكان غيرهم يُعنَون بتمريض الاعلّاء . واكثر منهم من يشتغل بالاعمال اليدويّة كنسج الحصر واصطناع القفف والسلال وحياكة الثياب . وبعضهم كان موكلًا برعية المواشي وتربية الخنازير يبيعونها دون ان يمسّوا لحومها . والآخرون كانوا يهتمّون بالزراعة على كلّ فنونها ويُعنَون خصوصًا بالنخل لكثرة منافعه . ومنّن وجده بلّاديوس من الصنّعة في ديرپانوپوليس (حيث كان عدد الرهبان ثلاثمائة) خمسة عشر خيّاطًا وسبعة حدّادين واربعة نجّارين واثني عشر جمّالًا وخمسة عشر قصّارًا . فناهيك بهذه الامثلة شاهدًا على شغل اولئك الرهبان الذين عدّوا الشغل كشقيق للصلاة . امّا الذي كانوا يكسبونهُ من الأُجرة في مبيع هذه الاعمال فكانوا يصرفونهُ في حاجات اهل الدير وما فضل عن ذلك كانوا يتصدّقون بهِ على الفقراء والمساكين او يصرفونهُ في الاعمال الخيريّة

٤ ﴿ فضائلهم ﴾ لو اردنا الاتساع في هذا الموضوع لأدى بنا الى الطول الممل وما يُقال اجمالًا أن سيرة اولئك الرهبان كانت بالارواح اشبه منها بالبشر . اذ كانوا يمارسون لسمى الفضائل التي تحبّبهم الى الله وتقرّبهم من الكمال السرمدي . وقد تتبّع بلاديوس في كتابهِ اعمال كثير من هؤلاء المتنسكين فوصفهم احسن وصف دون مبالغة في ما روى وهو لا يخاف ان وجد فيهم ضعفًا بشريًا ان يذكرهُ كما عرفهُ . وكان اكثرهم اذا زهدوا في الدنيا يبدأون بمحاربة الاميال البدنيّة والاهواء الجسديّة فيعاملون الجسد معاملة العدوّ الالد . فهذا يقمعهُ بالصوم الطويل وشظف العيش وذاك

يحرمهُ من النوم او ينام غرارًا او واقفًا مسندًا رأسهُ الى حائط دون اضطجاع . ومنهم من كان يشتغل الاشغال الشاقّة من بناء وحراثة ونقل الاثقال وكان غيرهم يتعرّضون في النهار للسع الزنابير او يتقلّبون بين الاشواك والدغل الى غير ذلك من التقشفات الغريبة التي كانوا يضاعفونها اذا ما ازعجتهم وساوس الشيطان

وكان اولياء الله اذا ما قهروا اجسادهم وذلّلوا اهواءهم المنحرفة ينكبّون على الفضائل التي تزيدهم حظوى الى الله عزّ وجلّ من اتضاع وتقيّ وتفانٍ في خدمة القريب وسدّ حاجاتهِ واصلاح طباعهِ السيّئة وتعليمهِ طريق الخلاص . وكان غيرهم يتردّدون مع الله ويتنعّمون في مناجاتهِ دون انقطاع . وقد ارتدَّ على يد هؤلاء النسّاك كثيرون الى الايمان المسيحي بعد ان كانوا يعيشون كالهمج في عبادة الاصنام منهم في النوبة وفي بلاد برقة وليبية وبلاد السودان . وكثيرًا ما منحهم الله اصطناع القوّات والعجائب من شفاء المرضى واخراج الشياطين من المسكونين . ومنهم من كان يوحي اليهِ الله خفايا القلوب او يريهِ ما يجري في بلاد بعيدة كديديموس الذي بعد ان صلّى يومًا الى الربّ زمنًا طويلًا ليكفّ عن كنيستهِ يد يوليان الجاحد غلب عليهِ النعاس فرأى في نومهِ خيلًا عليها فرسان سمعهم يقولون : « بشّروا ديديموس بموت يليان فانهُ نال جزاءهُ اليوم . . . ثمّ يا ديديموس وافطر بعد صومك واكتب الى اثناسيوس بما جرى » . فبعد أيّام وردت اخبار كسرة الامبراطور يليان في المدائن

هذه وامور اخرى كثيرة اودعها پلاديوس في تاريخهِ كما شاهدها وسمعها دون تصنّع ولا زخرفة كلام حتّى ان تيلمون المؤرخ الشهير قال في حقّهِ : « أنّنا لا نعرف في التواريخ القديمة كتبًا كثيرة تلوح الحقيقة من خلال سطورها كهذا فان صاحبها مولعٌ بالصدق واليقين لا يروي امرًا الّا بعد أن تحقّق صحّتهُ بنفسهِ او بحث عن رواتهِ الثقات لئلّا ينخدع بما يروي او يخدع قرّاءهُ » . قلنا وهذه الطبعة الجديدة التي نحن في صددها قد زادت الكتاب قيمةً اذ جرّدتهُ عمّا كان أضيف اليهِ من الروايات غير الاصليّة وصفّت ماءهُ الزلال من كلّ تكدير

رسالة في المؤنثات السماعيّة

استنسخنا هذه الرسالة عن كتاب مخطوط فيهِ عدّة مقالات لغويّة اوّلها مقالة مطوّلة في الفروق لنور الدين بن نعمة الله الحسيني الجزائري من كتبة القرون المتأخرة . ونظنّ انّ الرسالة في المؤنّثات السماعيّة لهُ ايضاً وهي في المجموع عينهِ دون تاسمة ل . ش

(قال) انّ معرفة المؤنث السماعيّ متعسّرة . امّا طريق معرفتها فتتبّع كلام العرب . وكلامهم قد جُمع على الاكثر . ونحن نذكر هنا المؤنّثات السماعيّة بحيث لا يبقى منها الّا النادر ونرتّب اوائلها على ترتيب حروف المعجم :

﴿ الهمزة ﴾ أُذُن . إِصبع . أَرْوَى (اي الوعل الجبليّ) . ارضٌ . إِنس . آل (وهي السراب) . أُلوب (وهي النشاط والريح) . أَرْنب . أَجأ (اسم جبل) . إِبل . استٌ . أفعى . أُضحى

﴿ الباء ﴾ بُنصر . بئر . باع . بَشَر (يجوز تأنيثهُ وتذكيرهُ)

﴿ الثاء ﴾ ثُمام (للنبت يُصنع منهُ الحُصر) . واما ثَعلَب وثُعبان وثَدي فتؤنّث وتذكّر

﴿ الجيم ﴾ جَراد . جنّ . جَحيم . جمّار (حبلٌ يشدُّهُ الرجل على وسطهِ اذا نزل الى البئر) . جهنّم . جَزُورٌ . جام . جَنُوب

﴿ الحاء ﴾ حَلاق (وهي الموت) . حَضَا (اسم نجم) . حَرْب . حَضَاجِر (وهي الضبع) . حَرُور (وهي الريح الحارّة بالليل) . حَدُور (وهي الطريق من علو الى اسفل) . حانوت . واما الحَال والحمّام فيذكّران ويؤنّثان

﴿ الخاء ﴾ خَيل . خِنصِر خمر . وجميع اسماء الخمر ومعانيها . واما الخِرْيق (ولد الارنب . بكسر الخاء) فيذكّر ويؤنّث

﴿ الدال ﴾ دَبْر . دار . دَلو . دِرْع (التي تُلبَس لدفع السلاح . امّا الدّرع الذي هو قميص النساء فمذكر) . دَبُور

﴿ الذال ﴾ ذِراع . ذُكاء (وهو اسم للشمس) . ذَنُوب (الدلو الكبيرة) . اما الذّهب فيذكّر ويؤنث . الذَّوْد (وهي الثلث الى العشر من النوق)

﴿ الراء ﴾ الرِّيح وجميع اسمائها كالجَنُوب والشَّمال وغيرهما . الرِّجل (التي هي العضو المعروف من الحيوان) والرِّجل (التي هي قطعة من الجراد) . رَحِم . رَحى . رُوح (بمعنى النفس . واما الروح بمعنى اللهجة فمذكَّر)

﴿ الزاي ﴾ زَند . زَوج

﴿ السين ﴾ سَنَة (وهي الإسْت) . ساق . سَعير . سلطان (اي السلطة) . سماء . سِلْم (وهي الصلح) . سَبيل . سَقَط . سُلَّم . سِلاح . سَراويل . سَباط (وهي الحُثَى) . سَقَر . سُوق . سُرى . سَمُوم (وهي الريح الحارَّة في النهار)

﴿ الشين ﴾ شَمال . شَعُوب (وهي الموت) . شَمس

﴿ الصاد ﴾ صَاع . صَدر . صِراط . صَعُود (وهي مثل الحَدُور) . صَبا . صَعُوب (وهي ضد الصبر) . واما صَلِيف (وهي صفحة العُنق) فتذكَّر وتؤنَّث

﴿ الضاد ﴾ ضِلْع . ضَرَب (بفتح الراء . وهي العسل الابيض) . ضَبُع . ضأن . ضُحى

﴿ الطاء ﴾ طاغوت . طبق . طَويّ (وهي اسم البئر) . طَير . طَست . طاووس

﴿ الظاء ﴾ الظُّهر (بضمّ الظاء) .

﴿ العين ﴾ عَين . عَضُد . عُمْر . عَرُوض (وهي آخر المصرع الاوّل من البيت . واسم لمكَّة والمدينة) . عُقاب . عَقرَب . عاتِق . عُقار . عِير . عِرس (وهي الزوجة) . عَواء (بالفتح وهي منزل من منازل القمر) . عَجز . عشاء . عصا . عَنكَبوت . عَنز . عُنُق . عَقِب

﴿ الغين ﴾ غُول . غنم

﴿ الفاء ﴾ فَخذ . فَرَس . فِرِنسن (وهي تحت خفّ البعير) . فِهر (وهي الحجر الصغير واسم لقبيلة) . فأس فُلك

﴿ القاف ﴾ قِنب (وهي الحَمَى . قَفا . قِدر . قُلب (وهي الحفرة في الجبل) . قَوس . قَدُوم . قُدّام . قَليبٌ وهي البئر

﴿ الكاف ﴾ كفٌّ . كُرَاع (وهي الخيل) ولما دون الكعب من الدوابّ) كَبِد . كِرْش . كَتِف . كَرُود (وهي الطريق الى موضع مرتفع صعب) . كأس . كُحل

﴿ اللام ﴾ لَظَى . لَيْل . لَبُوس . لِسَان

﴿ الميم ﴾ مِعًا (وهي الكِرش) . مِلْح . مِسْك . موسى (وهو ما يُحْلَق بِهِ الرأس) . مَنُون (وهي الموت) . مَنْجَنِيق . مَنْجَنُون (وهو الشيء الذي يُقال لهُ بالفارسيَّة كِردون)

﴿ نون ﴾ نَار . نَعْل . نَفْس . نَوًى

﴿ الهاء ﴾ هَبُوط (مثل الحَدُور) . هُدًى

﴿ الواو ﴾ وَطِيس : وَرِك . وَعْل (وهي الحِنَاء) . وراء

﴿ الياء ﴾ اليمين بجميع معانيها . يد . يَسار . يَعْرُب (اسم قبيلة) . يزاد عليها اسماء البلدان . وحروف الهجاء . والحروف نحو : في وعلى . كلها مؤنثات سماعيَّة . وقد نظم ابن الحاجب المؤنثات السماعيَّة في قصيدة هذا لفظها :

نَنْسى النِّداء لسائلٍ وافاني ... بسائلٍ فاحت كغصن البانِ
اسماء تأنيث بغير علامةٍ ... هيَّ يا فتى في عُرفهم ضَربانِ
قد كان منها ما يؤنَّث ثم ما ... هو فيهِ خيرٌ باختلاف زمانِ
امَّا التي لا بدَّ من تأنيثها ... ستون منها العين والأذنانِ
والنفس ثم الدار ثم الدلو من ... اعدادها والسنّ والكفَّانِ
وجهنَّم ثم السعير وعقرب ... والارض ثم الاستُ والعضدانِ
ثم الجحيم ونارها ثم الصا ... والريحُ منها واللظى ويدَانِ
والنول والفردوس والفلك التي ... تجري وهي في البحر في الرَّانِ
وعروض شعرٍ والذراعُ وشلبٌ ... والملح ثم الفأس والوركانِ
والقوس ثم المنجنيق وارنبٌ ... والجسرُ ثم التِّبرُ والتخذانِ
وكذاك في ذهبٍ وسهرٍ حكمهم ... ابدًا وفي ضربٍ بكل بانِ
والعين للينبوع والدرعُ التي ... هي من حديدٍ قدكَ والقدمانِ
وكذاك في كبدٍ وفي كرشٍ وفي ... سَقَرٍ ومنها الحرب والنعلانِ
وكذاك في فرسٍ فكأسٍ ثم في ... افعىً ومنها الشمس والعقبانِ
والمنكبوت منها والموسى معًا ... ثم اليمين واصبع الانسانِ
والرجل منها والسراويلُ التي ... في الرجل كانت زينة العربانِ
وكذا الشمال من الاناث ومثلها ... ضبٌّ كذاك الكفّ والسَّانِ
امَّا الذي قد كنتَ فيهِ مخيَّرًا ... هو كان سبعة عشر للبيانِ
السِّلم ثم الملك ثم الصدر في ... لغة ومثل الحال كل آوانِ
والليث منها والطريق وكالسرى ... ويُقال في عُنُقٍ كذا ولسانِ

وكذاك اسماء السبيل وكالضحى وكذا السلاح لقاتل طعّان
والحكم هذا في القضاء ابدًا وفي رحم وفي السكين والطعان
وقصيدتي تبقى واني اكتسي ثوب الفناء وكل شيء فاني

مطبوعات بشرقية جديدة

Semitic Study Series edited by R. J. H. Gottheil and M. Jastrow — N° I. Selection from the *Annals of Tabari* by M. J. de Goeje, 1902, pp. 74 — N° VI. Selections from the *Sahih of al-Bukhari* by Ch. C. Torrey, Leiden, late E. J. Brill, 1906, pp. 108.

نخبة مدرسية من تاريخ الطبري وصحيح البخاري

سبق لنا في المشرق (٨:٨٦٢) ذكر مشروع مدرسي قام به جلّة العلماء المستشرقين لتسهيل الدروس العربية في كليات اوربة. وذلك انهم وكلوا الى بعض مشاهيرهم ان يستخرجوا من تآليف ائمة الكتّاب مُلحًا يجعلونها في ايدي الطلبة يستعينون بها وقت دروسهم عن مراجعة الاصول المرسعة. وممّا بلغنا من ذلك آخرًا كرّاستان تحتوي الاولى نخبةً انتزعها من تاريخ ابي جرير الطبري العلّامة دي غوي من اساتذة كلّية ليدن. والثانية فصولًا من صحاح البخاريّ للاستاذ طُرّاي. اما طريقة المتولّين لهذه الاعمال المفيدة فكلها متشابهة. فانهم يصدّرون منتخباتهم بفصل في الانكليزيّة يجعلونهُ كمقدّمة للعمل ثمّ يلحقونهُ بما نقلوهُ من الاصل مع تذييلهِ ببعض الحواشي اللازمة ويختمونهُ بشرح الالفاظ العويصة او العبارات المستغلقة الواردة في كل صفحة وهذه الشروح بالانكليزيّة والالمانية. فكفى بوصف هذه المنشورات وطريقتها لتعريف فوائدها ولترغيب القرّاء في اقتناء ما طُبع منها

ل. ش

كتاب دليل الفردوس

خطبٌ انشأها وجمعها حضرة الخوري افرام ايبش خادم طائفة السريان بمصر. المجلّد الثالث. طُبع في مطبعة التوفيق في مصر سنة ١٩٠٦ (ص ٤٢٩)

نعم الدليل ورد علينا ثالثةً ليقود ليس الاجساد بل الارواح. ليس الى مشاهدة بلاد زائلة او الى معاينة تحف فانية بل الى نظر ما لا يفتضي مع الزمان ولا يبرح مع الابدان الى معرفة طريق الهدى الى جنّات مخلّدة وفردوس دائم. وكأنّ صاحب الدليل عرف

الفرق بين الزمني والابديّ فاوقف نفسهُ الى نهج طريق هذا دون ذاك بلّغهُ الله تلك الغاية الشريفة وبصحبتهِ الألوف ممّن ينكّب بهم بتعاليمهِ عن التيّ والضلال. وفي هذا الجزء ٣٥ عظـةً او خطبةً ألقاها حضرة الخطيب المصقع أمام الجموع المتقاطرة الى استماعهِ فضمّنها لُباب التعاليم الخلاصيّة متعمّقاً في ايرادها آثار من زانوا منابر الخطابة بين الخطباء المحدثين . ولم يكتفِ لتحقيق امانيهِ بالمواعظ الروحيّة التقويّة بل احبّ ايضاً ان يخوض مع اعداء الدين في ميدان البحث والتنقيب لتزييف الاعتراضات التي توهّموا صحّتها واستندوا اليها كما يُستند الى الجرف الهاري . فجاءت براهينهُ متقنـةً وادلّتهُ قاطعةً وكلّ ذلك على طرز الكتبة « المحدثين متسربلاً في انشائهِ كل الازياء وجائلاً ضروب الفصاحة وابوابها ليفوز بغايتهِ الجلّى ». وعليهِ فلا يبقى علينا الّا ان نثني على صاحب هذه الخطب ونشكرهُ على توفيرهِ للسـيحيين مناهج الخلاص ونحضّ القرّاء على مطالعة الكتاب ليحرزوا فوائدهُ الكثيرة فضلاً عمّا يجدونـهُ في آخرهِ من التذييلات نخصّ منها بالذكر مقالةً في يعقوب السروجي نقلهـا حضرتهُ عن المشرق بعد اطرائهِ لجلّتنا بما اوجب علينا مضاعفة شكرهِ لجزل الله ثوابهُ ل . ش

RUBENS DUVAL : Littérature Syriaque, 3e éd., Paris, Lecoffre, 1907, In-12, XVII-430

آداب اللغة السريانيّة

انّ الدروس السريانيّة قد اتّسعت منذ عشر سنوات اتّساعاً كبيراً . وممّن ساعد على هذا الترقّي بين الفرنساويين خصوصاً العلّامة روبنس دوفال استاذ اللغة السريانيّة في مكتب باريس بما نشرهُ من المطبوعات المفيـدة كمعجم بريمولو وغيرهِ . ومن خدمهِ المشكورة تاريخ الآداب السريانيّة طبعهُ لاوّل مرّة سنة ١٨٩٩ فأقبل على مطالعتهِ محبّو الآثار الشرقيّة اقبالاً عجيباً . وها انهُ اليوم قد اضطرّ الى اعادة طبعهِ ثالثةً . وجنابهُ لم يشأ ان يُنشر الّا بعد أن اعاد النظر في عملهِ وزاد عليـهِ فوائد جديدة مع حواشي متعدّدة لتعريف المطبوعات المستحدثة والاكتشافات الاخيرة فجاءت هذه الطبعة شاملةً جامعة . والكتاب على قسمين قسمٌ في آداب السريان والكلدان منذ نشأتها الاولى على اختلاف فنون الكتابة . وقسم في تراجم الكتبة جيلاً بعد جيل . وناهيك بهذا التقسيم دليلاً على كلّ ما آثر الطوائف السريانيّة وسجّل تاريخ حياتهم الادبيّة . وهذا الكتاب ممّا لا يستغني عنهُ من اراد الاطّلاع على مصنّفات الشرق المسيحيّ الاب ل . ريتوله

MODERN ARABIC TALES, by Enno Littmann, Ph. D. — Arabic text. — *Leiden, E. J. Brill*, 1905, in-8°, 272

قصص في اللغة العربيَّة السائرة

أَمَّت الشرق في خلال سنة ١٨٩٩ بعثة اميركيَّة للبحث عن الآثار القديمة والتنقيب عن غوامض تاريخ البلاد وشوارد اللغة العربيَّة سيَّما التي تتداولها العامَّة في هذه الايام. وقد قام بهذه المهمَّة رهط من العلماء المستشرقين الذين شُغفوا بمآثر امصارنا ووقفوا حياتهم على نشرها منهم الاستاذ أنر ليتمان الالماني احد المتخرجين على العلَّامة نلدكه المستشرق الشهير فخلفهُ في تدريس اللغات الساميَّة في كليَّة ستراسبورغ وحسبنا ذلك برهانًا على مقدرتهِ وتعمُّقهِ في المباحث وصدق آرائهِ فيها. وقد اخذ على نفسهِ ان يميط الحجاب عن اسرار اللغة العربيَّة السائرة في نواحي القدس على اختلاف لهجتها وتراكيبها فلجأ الى الاهلين وسألهم ايراد بعض قصص رووها لهُ فاثبتها كاتب اسرارهِ بالحرف وعُني هو بنشرها في كتاب بلغت صفحاتهُ ٢٧٢ واحتوت على ٣٥ فكاهةً. وقد وعد حضرة الاستاذ ليتمان بترجمتها الى الانكليزيَّة وبالحاق ترجمتهِ بمجموع قواعد يضمّنها شتات لغة القدس وبمعجم يُرجع اليهِ فيما كان غامضًا من مفرداتها فتعمّ بذلك فائدة الكتاب وتستقرّ بهِ اصول لهجة سكان فلسطين ولا يخفى ان المصنَّف المذكور هو القسم السادس من تآليف البعثة الاميركيَّة المشار اليها. واننا نأسف لبعض اغلاط لم يتداركها من وقف على طبع الكتاب ولعلَّ حضرة الاستاذ يصلحها في القسم الثاني. وعلى كلّ فانا نشكره لاعتنائهِ في اللغة العربيَّة وبذل قواهُ في احياء الآثار الشرقيَّة ي. خ

شذرات

رتبة ذو الرماد عند الموارنة كتب لنا حضرة القس يوحنا منش ما يلي: ذهب البعض (المشرق ٨: ٢٥٧) الى ان رتبة ذرّ الرماد دخلت في طقوس طائفتنا المارونية من امدٍ قريب. واستدلُّوا عليهِ بسكوت المجمع اللبناني عنها في تعداد الرتب التي يجب على كاهن الرعيَّة ان يقوم بها ومن ثمَّ ظنُّوا انها على الاصحّ من تأليف سعيد الاثر البطريرك يوسف اسطفان. (قلتُ) فالظاهر من اصحاب هذا الراي ان استعمال هذه الرتبة لا يتجاوز اواخر القرن الثامن عشر وعندنا انَّ قولهم ليس بصواب اعلم ان رتبة ذرّ الرماد اعرق وضعًا واقدم زمانًا فان لم يكن استعمالها من مبادئ

القرون المعروفة بالمتأخرة فلا اقلّ من ان يكون من اول القرن السابع عشر على ما يظهر بكل جلاء من النسخة المخطوطة في هذا القرن الآتي ذكرها . فهي ليست من تأليف البطريرك يوسف اسطفان بل من تأليف طقسي ماروني آخر تقدّمهُ زمنًا فان لم تكن من تعريب القلاعي عن الرتبة الرومانية فهي بلا شك من تعريب احد تلامذة مدرسة رومية المارونية وبعدهُ اعاد تعريبها وتهذيبها العلّامة جرمانوس فرحات كما سترى . وبناء عليهِ فاستدلال البعض بالمجمع اللبناني باطلٌ اما لان مؤلفهُ قد سها عن ذكرها او يكون سكت عنها لعدم شيوعها في كنائس الطائفة كلها . ومهما يكن من الامر فهل كل ما ذكرهُ المجمع من مثلها قديم ؟ وهل كل ما لم يذكرهُ حديث ؟ وبالنتيجة هل ذكر كتب الطقس برمتها ؟ تلك اسئلة يجيب عليها كل من راجع هذا المجمع وعرف كل ما ذكره من كتب الطقس الماروني قديمها وحديثها

وهذا كلهُ يثبتهُ كثير من الأسناد فقد ورد في ذيل نسخة الرتب المصونة في كنيسة حلب حاشية علّقها جرمانوس فرحات هذا نصُّها :

اعلم ان هذه الرتبة (المبحوث عنها) كانت قديمة عند طائفة الموارنة ثم دثرت من خراب بلادهم ومن عدم المتنبي باستعمالها . والآن جددها في كنيسة حلب الحقير في روما . الكهنة جرمانوس الماروني الحلبي اسقف حلب سنة ١٧٢٩ مسيحيّة . نقلها من كتاب كرشوني قديم من كتب دير قنوبين كرسي بطركية الموارنة تاريخهُ ستة وعشرون يومًا من شهر كانون الاول من شهور سنة ١٦٣٢ مسيحية . وهذا الكتاب محفوظ الآن في قلاية الموارنة في مدينة حلب

وورد في فريضة ٦٣ من مجموعة فرائض فرحات ما هذا حكايتهُ :

يوم الاثنين او الصوم الكبير يتبارك الرباد في الكنيسة اما من الاسقف او من صاحب البيّة او من خوري الرعيّة . حسب الرتبة الرومانية التي وضعت هنا . . . ويُرش على رؤوس المسيحيين في ذلك اليوم كما هو معيّن من الرتبة المنقولة من اللاتيني . . . وهذه الرتبة اول من اثبتها في كنيسة حلب جرمانوس اسقفها . وذلك سنة ١٧٣٠ مسيحيّة في حلب الحميّة

وفيهِ غنى عن شواهد اخرى اضرب عن اثباتها خشية ملل القرّاء الكرام

على ان ما في هاتين الفقرتين لا يخلو من الاعتراض لاول وهلة على الزمان الذي الّف فيهِ فرحات هذه الرتبة او اعاد تعريبها ولكن لا تناقض بينهما اذا علمت ان الفقرة الاولى تشير الى زمن تأليف الرتبة والثانية الى زمن تثبيتها وبالتالي ان كلًا منها يشير الى رتبة تخالف الاخرى عُني بكلتيهما العلّامة فرحات الآنف الذكر فالاولى توافق القديمة وتخالف الثانية ترتيبًا ووضعًا ما خلا بعض الصلوات المنشورة والثانية توافق

المطبوعة تمام الموافقة ما عدا بعض اختلاف وزيادة احدثها فيها على ما اظن البطريرك يوسف اسطفان او المطران نقولا مراد طابع كتاب الرتب. وعليه فقد اصبح من الثابت المقرر ان الرتبة مأخوذة عن الرتبة الرومانية اخذها عنها الطقسي الماروني الاصلي ثم اعاد تعريبها وترتيبها وتهذيبها جرمانوس فرحات ثم غيَّر البطريرك الحاي واللحن الاول السرياني واضاف الابيات العربيَّة الاخيرة. وأقف عند هذا المدى وفيه حدُّ الكفاية لبطلان ما توهمهُ البعض في هذه الرتبة واصلها والسلام

مشروع عظيم لا تزال المعامل الباريزيَّة في نموّ واتساع فيقتضيها كيّات وافرة من الفحم الحجري الذي تنفق عليه فرنسة في السنة ١٢٠ مليونًا من الفرنكات هذا فضلًا عمَّا يُستخرَج من مناجمها العديدة. فتلافيًا لهذه النفقات الطائلة قدَّم احد المهندسين اسمهُ ماهل (Mahl) لحكومته قرارًا لتُنقَل الى باريس قوَّة مياه نهر الرون فتُتَّخذ لانشاء الكهربائيَّة في معامل المدينة. فقد وجد هذا المشروع حظوى لدى مجلس بلديَّة باريس والمنتظر انهُ قريبًا يصادق على العمل. وغاية المهندس ان يحبس مياه النهر بسدّ عظيم عند بَلْفارد فيجمعها في حوض كبير قريبًا من كولونج (Collonges) يمكنهُ ان يسع ٢,٠٠٠,٠٠٠ متر مكعَّب ثم يحفر هناك قناتين طولها ٤٥٠٠ متر فيُحدر المياه من علو ٦٥ متر فهذه الشلَّالة تولد قوَّة كهربائيَّة عظيمة تبلغ مئة الف حصان بخاري ويقام بناء كبير لتحويل قوَّة المياه الى قوَّة كهربائيَّة تجعل فيه ٤٨ آلة مولدة للكهرباء ثم تُنقل الى باريس على طريقة مجرًى متواصل. وذلك بقلوس ضخمة وعلى خطٍّ مستقيم. فاذا تمَّ هذا المشروع اقتصدت باريس في كلّ سنة ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ من الفرنكات

أسئلة وأجوبة

س كتب الينا حضرة المحوري ي. ط. من افاضل كهنة الموارنة في الشتر: « قرأنا في عدد الاهرام الصادر في ٥ شباط المنصرم ثمَّ في لوائح اخرى مطبوعة صدرت من المحفل الاورشليمي وعمل السلام ان المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي قد عرَّب ترجمة الكتاب المقدَّس المطبوعة في مطبعتكم وانَّ حروف مطبعة اليسوعيين في بيروت من صنع يده فترجوكم الافادة عن صحَّة الخبر

تعريب التوراة — حروف مطبعتنا

ج نجيب (على الاوَّل) انَّ الكتاب المقدَّس الذي طُبع عندنا قد عرَّبهُ كلًّا عن

اللغات الاصليَّة الاب اوغسطين رودہ اليسوعيّ وكان المذكور درس العربيَّة في بلاد الجزائر وعلَّم العبرانيَّة سنين طويلة وقد استعان على عملهِ بثلاث طبعات عربيَّة اخرى سابقة: الاولى مطبوعة في مجموع التراجم الكتابيَّة المعروفة بالپوليغلوتا الذي طُبع في لندن سنة ١٦٥٤ والثانية طُبعت في رومية سنة ١٧٦١ في ثلاثة مجلَّدات عربيًّا تلامذة مدرسة الموارنة في رومية . والثالثة الطبعة الامركانيَّة التي حرَّر عبارتها المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي . وقد رأينا مرارًا مسوَّدات المترجم . وكان المذكور يعرض عملهُ على الشيخ ابراهيم اليازجي الذي ينقِّح ما يرى تنقيحهُ فيأخذ منهُ الاب رودہ ما يراهُ موافقًا للاصل او يتباحثان في ذلك الى ان يقرّ رأيهما على شيء ثابت ثمَّ يعود اربعة آباء يسوعيين آخرين فينظرون في الترجمة ويدوِّنون ما لديهم من الملحوظات للمترجم فيصلح ما يُقتضى اصلاحهُ . ومن ثمَّ ترى انَّ المرحوم الشيخ ابراهيم ليس هو المعرِّب بل المنقِّح فقط لهذه الترجمة . وكيف يا تُرى يمكنهُ ان يُدعى معرِّبًا وهو لم يعرف اللُّغات العبرانيَّة والسريانيَّة واليونانيَّة اللهمَّ الَّا ما كان يتهجَّاهُ من اللغتين الاوليين ليس الَّا . وقد عاشرنا الشيخ مدَّةً وتحقَّقنا معرفتهُ من هذا القبيل . وزد على ذلك انَّ المرحوم بعد انتهاء ترجمة الكتاب المقدَّس قد نشر في البشير فصلًا مطوَّلًا من قلمهِ اثنى فيهِ على هذا العمل ونسَب الى نفسهِ حصَّتهُ فيهِ اعني ما ذكرناهُ آنفًا من تصحيح العبارة وتثتيفها ليس التعريب نفسهُ (راجع الضياء ١ : ٤٧١) . ونجيب على (الثاني) انَّ مطبعتنا منذ انشائها قد استعملت ١٦ جنسًا من الحروف . ١ً الحرف الباريزي الذي جلبناهُ من باريز . ٢ً صنفًا آخر من الحرف الباريزي اغلظ اشتغل بحفرهِ المرحوم الاخ طالون الفرنسويّ . ٣ً—٦ً اربعة اصناف من الحرف الاميركيّ غير المشكَّل اشترتهُ المطبعة وحسَّنتهُ . ٧ً—١٠ً اربعة اصناف اخرى من الحرف ذاتهِ مسبوكة بحركاتها وهو شغل مطبعتنا الخاصّ . ١١ً الحرف الاسلامبولي الكبير مع اصلاحات لاحد اخوة رهبانيَّتنا . ١٢ً الحرف عينهِ مع الشكل المسبوك فيهِ . للاخ عينهِ . ١٣ً الحرف الاسلامبولي الوسط من شغل الاخ ذاتهِ . ١٤ً الجنس الصغير المعروف بجنس بولاق قد حفر أمياتهِ الشيخ ابراهيم اليازجي واصلحهُ الاخ المذكور . ١٥ً الحرف البيروتي الناعم . للاخ المنوَّه بهِ . ١٦ً الحرف الثلث او العلَّامي لهُ ايضًا . فترى ان بين كلّ هذه اصناف الحروف جنسًا واحدًا للشيخ ابراهيم وانَّ لاحد رهبانا فيهِ اصلاحات . وكفى بهذا لاثبات الحقيقة

ل . ش